جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

ملحق

العدد الواحد والتسعين/ السنة الثانية والخمسون

جمادى الثانية – ١٤٤٤هـ / كانون الأوَّل ٢٠٢٢/١٢/٢٩م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@gmail.com

URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلميَّة الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانيَّة

باللغة العربيَّة واللغات الأجنبيَّة

ملحق العدد الواحد والتسعين السنة: الثانية والخمسون/ جمادى الثانية – ١٤٤٤هـ / كانون الأوَّل ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب (علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق

الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي (اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

الأُستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

الأُستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة (اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن

الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني (التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق

الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار (التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية

الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد (الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر

الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو (اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا

الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة

الأُستاذ الدكتور كلود فينثز (اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا

الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز (الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة

الأُستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم (الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان – مقوّم لغوي/ اللغة العربيَّة

م.م.عمَّار أحمـــــد محمود – مقوّم لغوي/ اللغة الإنكليزيَّة

المتابعـــــــة:

مترجم.إيمان جرجيس أمين – إدارة المتابعـــــة

مترجم.نجلاء أحمد حسين – إدارة المتابعـــــة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشِّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـــويـــات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
صور إضافة الظرف (مع) إلى ضمير المُخاطب ودلالاتها في القرآن الكريم أحمد عبدالستار فاضل و فراس عبدالعزيز عبدالقادر	30-1
الآخر محاربًا في شعر ابن الدَّهان الموصليّ (ت581هـ) عجيل مد الله أَحمد و مقداد خليل قاسم	80 -31
الطَّيفُ في شعرِ ابنِ نُباتةَ المَصريّ فارس ياسين محمد الحمداني	102 -81
اعتراضات نُقْرَه كار (ت776هـ) الصرفيَّة في شرح شافية ابن الحاجب (646هـ) هلال علي محمود	132 -103
الشخصية الإشكالية ومستويات وعيها في عالم (متاهات) برهان شاوي الروائي نورا وريا عزالدين و شادان جميل عباس	172 -133
الزمن السّردي في قصص جابر خليفة جابر يونس جاسم محمد سالم و بسام خلف سليمان	198 -173
الصورة المشهديَّة: الثابتة والمتحرِّكة في شعر حسب الشيخ جعفر ملكة عصام ياسين	219 -199
التوكيد بوصفه عارضًا نحويًّا في الحديث النبوي الشريف حديث: "إِنَّما الأَعمالُ بالنيَّات" أُنموذجًا مصعب إسماعيل عمر و ثامر عبدالجبّار نصيّف	244 -220
أَنماطُ الحالِ ودلالاتُها في معلَّقةِ طرفة بن العبد إسماعيل حميد حمد أَمين و مظفر الدين عثمان حمد صالح	265 -245
دلالة الأَفعال المقيَّدة بحرف الجر في قصيدة مديح الظل العالي لمحمود درويش إسراء غانم أَحمد	301 -266
الارتداد الزمني في رواية ظلال الوأد لـ(منيرة السبيعي) سروى صباح رجب	329 -302
تنوع الدلالات في نماذج مختارة من شعر الهذليين أَحمد يعقوب الجبوري	352 -330
ميميَّة حسَّان بن ثابت ألم تسأل الدار "دراسة تحليليَّة نقديَّة" وضَّاح حسن خضر حسن	372 -353
الصورة بوصفها إدانة للواقع في رواية (العراق سينما) لأَحمد إبراهيم السعد ليث طالب ذنون	386 -373
المعرب على أَكثر من ثلاثة أَوجه من المصدر المعرفة المنصوب المحذوف فعله في كتاب الدر المصون للسمين الحلبي شذى محمد مصطفى رشيد	405 -387
بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميَّة	
العلاقات الاقتصاديَّة التركيَّة الليبيَّة 1989-2011م صبا طلال عمر طلال و محمد علي محمد عفين	420 -406
مُعلِّمو السلاطين العثمانيين الشيخ آق شمس الدين أُنموذجًا (1389-1459م) دراسة تاريخيَّة أَمين غانم محمد و عماد عبدالعزيز يوسف	455 -421
انتفاضة علي باشا جان بولاد في ولاية حلب 1605-1607م أَحمد محمد نوري أَحمد العالم	489 -456
كتابُ "تاريخ مدينة السلام" ومؤلِّفه الخطيب البغدادي حميدي خضير جمعة	508 -490

بحوث علم الاجتماع	
منظمات المجتمع المدني ودورها في الاستقرار السياسي دراسة تحليليَّة في علم الاجتماع السياسي إيمان حماديّ رجب و حسن راشد جاسم	509 - 535
عزوف التلاميذ والطلبة عن التسجيل للدراسة التركمانيَّة في محافظة نينوى (الأَسباب- النتائج- الحلول) عدنان حازم عبد أَحمد	536- 570
بحوث الفلسفة	
فلسفة أَفلاطون على نظريَّة الفارابي السياسيَّة (دراسة تحليليَّة مقارنة) ليلى يونس صالح	571- 601
بحوث الشريعة والتربية الإسلاميَّة	
خصائص النبي (ﷺ) في الآيتين (157_158) من سورة الأَعراف -دراسة تحليليَّة تفسيريَّة- نغم قاسم أحمد الأَرمني و رائد سالم شريف	602- 621
بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة	
المكتبة العامة المركزية في الموصل: دراسة في واقعها ومقترحات تطويرها وسن سامي سعدالله	622- 649
بناء نظام خبير لتصنيف الرسائل والأَطاريح الجامعيَّة باستخدام خوارزميَّة (Naïve Bayes): دراسة تجريبيَّة إيناس جاسم هادي	650- 689
بحوث علم النفس وطرائق التدريس	
اتجاه طلبة الجامعة نحو التعليم الإلكتروني وعلاقته بالتنظيم الذاتي الأَكاديمي عدي نعمت بطرس عجاج	690- 737
صعوبات تدريس مادة الفيزياء في المرحلة الثانوية من وجهة نظر مدرسي الفيزياء في مدينة الموصل طارق موفق سحري	738- 776
بحوث القانون	
أثر حالة الضرورة لارتكاب الجريمة في المسؤولية في الشريعة الإسلاميَّة والقانون العراقي شيروان عمر رسول و عادل عبدالله حمد	777-817

CC BY

الشخصيــة الإشكاليــة ومستويــات وعيــها في عالم (متــاهــات) برهان شاوي الروائي

نورا وريا عزالدين * و شادان جميل عباس **

تأريخ التقديم: 2022/3/9 تأريخ القبول: 2022/4/10

المستخلص:

بما أَنَّ النقد البنيوي التكويني يقوم باستنطاق ذاتية الشخصية والتغلغل داخل تلك المناطق المعقدة التي تتصادم فيها العوالم الداخلية النفسية للشخصيات الروائية؛ لذلك كان هو الأقرب لمقاربة وعي الشخصية الاشكالية داخل السياق النصي للمتاهات التي تصور تجربة إنسانية تعكس موقف الروائي إزاء واقعه بنفس القدر الذي يتجلى فيه عن مواقفه ووعيه الفكري والاجتماعي؛ إذ يقف الروائي على طبيعة الشخصيات وكيفية إدراكها لواقعها، والدوافع النفسية والاجتماعية والايديولوجية التي تدفعها إلى تشيئها بين العقل والعاطفة واغترابها مع نفسها وعلاقتها بالآخر عبر العالم الداخلي المرتبط بالذات والعالم الخارجي المرتبط برؤية الواقع الاجتماعي؛ لذا لا نسعى في هذه الدراسة إلى بيان مفهوم الشخصية الروائية وأنواعها ووظائفها فهذا مما قيل فيه الكثير، وليس مجال ذكره هنا، وانما نركز على الكشف عن الحالات النفسية للشخصية الإشكالية التي تعاني التشيؤ والاغتراب بين أَحلامها ومبادئها من جهة وواقعها الاجتماعي من جهة أخرى وذلك من خلال الوقوف على مستويات وعيها .

الكلمات المفتاحية: التشيؤ، الاغتراب، الوعي.

المقدمة:

صارت الرواية محطَّ عناية الباحثين والنقاد لتعدد أَساليب بناء عالمها السـردي ولاشتمالها على منظومة من العناصر ومنها الشخصية التي تشـكَّل بعلاقاتهـا مـع

* مدرس مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية شقلاوة/ جامعة صلاح الدين.

** أستاذ مساعد/قسم اللغة العربية/ كلية اللغات/ جامعة صلاح الدين.

العناصر الأخرى عنصرًا مهمًا في بناء العالم الروائي، فلا " تكون العناصر الأخرى إلّا مظاهرة لها أو راكضة في سبيلها أو دائرة في فلكها، فلا الزمن زمن إلا بها ومعهـا، ولا الحيّز حيّزا إلّا بها، إذ هي التي تحتويه، فليس في حقيقة الأمر يكون إلّـا بتـأثير منها، ودافع من سلطانها"[1]. وقد ظلّت الرواية تسعى نحو الكشـف عـن الـوعي الإنساني لدى الشخصية وتصوير عوالمها الداخلية وانهزاماتها، فحاولت الكشف عن الكيفية التي شكلت هذه الشخصية على المسـتوى السـيكولوجي والايـديولوجي. و" أصبح للشخصية وجودها المستقل عن الحدث، بل أصبحت الأحـداث نفسـها مبنيـة أساساً لإمدادنا بمزيد من المعرفة بالشخصيات أو لتقديم شخصيات جديدة، ويعود ذلك لصعود قيمة الفرد في المجتمع" [2]. لذا احتلت الشخصية مكانة مرموقة فـي البنـاء الروائي، لأنها تختزل مميزات الطبقة الاجتماعية وتعكس الواقـع الاجتمـاعي بكـل تناقضاته، ولأن الرواية ترصد رؤى الشخصيات وتنظر إلى هذه الـرؤى علـى انهـا انعكاس لموقف الروائي من الواقع وتشخيصه لسلبياته الخارجية وأثرها في اعمـاق شخصياته، فجعل الروائي من الشخصية العنصر الأساس في التكوين الهندسي لعالمه الروائي.

لقد اختلفت وجهات نظر النقاد في تناولهم لفاعلية الشخصية في بنـاء الروايـة، فهي عند رولان بارت تعد مكوّناً ثانوياً من مكونات العمل الأدبي وليست أكثـر مـن مجرد اسم لمن يقوم بالحدث. إذ يعتقد ان الشخصية نتاج عمل تأليفي، و "هـي فـي الأساس مجرد كائنات ورقية" [3]. أي أن هويتها موزعة في النص عبـر الأوصـاف والأفعال التي تسند إليها في النص. وهذا ما نجده عند (فلاديمير بـروب) الـذي لا يرى فيها سوى نموذج بسيط لم يؤسسه على علم النفس ولكن على وحـدة الأفعـال

---

[1] تحليل الخطاب السردي–معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية (زقاق المدق)، عبدالملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص127.

[2] بنية الشكل الروائي/ الفضاء– الزمن– الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط2، 2009، ص209.

[3] نقـد وحقيقـة، رولان بارت، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، سورية، ط1، 1994، ص15.

التي تهبها القصة للشخصيات. فهو يرى أن ما يتغير هو أسماء تلك الشخصيات وأوصافها – شخصية البطل والبطل المزيف والمساعد والآمر والمانح والمغتصب – أما أدوارها فتظل ثابتة [1]. بينما يستخدم (غريماس) مصطلح العامل بدلاً من مصطلح الشخصية، فليس من الضروري أن تكون الشخصية هي شخص واحد، ذلك أن العامل في تصور غريماس يمكن أن يكون ممثلاً بممثلين متعددين. ويستند إلى توزيعهم في ستة أدوار "خاضعة لمزاوجة، فكل زوج يحكمه محور دلالي معين: الذات والموضوع /محور الرغبة، المساعد– المعيق/ محور الصراع، المرسل–المرسل إليه/ محور الإبلاغ. وفي ضوء هذه المحاور ستحدد وضع السردية ويتحدد نمط اشتغالها وأشكال تجلياتها"[2]. في حين نظر فليب هامون إلى الشخصية الروائية من حيث دورها النصي، ووظيفتها من خلال دراسته السيميولوجية لها، لأن مفهوم الشخصية لديه مرتبط أساساً بالوظيفة النحوية التي تقوم بها الشخصية داخل النص، أما وظيفتها الأدبية فتأتي حين يحتكم الناقد إلى المقاييس الثقافية والجمالية، ولذا صنّفها في ثلاث فئات[3]:

1–شخصيات مرجعية: ويحيل هذا النوع من الشخصيات على عوالم مألوفة ومحددة، وهي تضم الشخصيات التاريخية والشخصيات الأسطورية التي تعيش في الذاكرة باعتبارها جزءا من زمنية قابلة للتحديد والفصل والعزل.

2–شخصيات إشارية: وهذه الفئة تمثل الشخصيات الواصلة، وتحدد تلك الآثار المنفلتة من المؤلف، تلك المحافل التي تدل علة وجود ذات مسربة إلى النص في

---

[1] فضاء النص الروائي/ مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، محمد عزام ، دار الحوار للنشر والتوزيع. اللاذقية–سورية، ط1، 1996، ص87. و مدخل الى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة: منذر عياشي. مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر. سورية، ط2، 2002 ، ص63.

[2] سيميولوجية الشخصيات الروائية. ط1، فليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية– سورية، ط1، 2013، ص19.

[3] المصدر السابق، ص213، 216–217، والمصدر السابق، ص14.

غفلة من التجلي المباشر للملفوظ الروائي. فتشير إلى العلامات التي تعبر عن المؤلف والقارئ أو ما ينوب عنهما.

3-شخصيات استذكارية: ويكمن دورها في ربط أجزاء العمل السردي بعضها ببعض. ويحتاج الإمساك بهذا النوع من الشخصيات إلى إلمام بمرجعيات العمل الأدبي، فهي الأداة التي من خلالها يمتلك الخطاب ذاكرة، تتحول إلى مرجعية داخلية لا يمكن فهم الأحداث من دون استحضار هذه الذاكرة.

وعلى هذا النحو، يمكن القول بأن الشخصية الروائية لدى معظم النقاد البنيويين " ليست سوى مجموعة من الكلمات، يستعملها الروائي عندما يخلق شخصية ويكسبها قدرة ايحائية كبيرة. وينسجم هذا التعريف مع المفهوم اللساني للشخصية، فهذا (تودوروف) يجرد الشخصية من محتواها الدلالي ويتوقف عند وظيفتها النحوية فيجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السردية لتسهل عليه ، بعد ذلك المطابقة بين الفاعل والاسم الشخصي للشخصية... ومن هذه الناحية يلتقي مفهوم الشخصية بمفهوم العلامة اللغوية حيث ينظر إليها كمورفيم فارغ في الأصل سيمتلئ تدريجياً بالدلالة كلما تقدمنا في قراءة النص"[1]. وإذا كان النقد البنيوي الشكلي قد صب جل اهتمامه على البنية الداخلية للشخصية الروائية على حساب السياق الاجتماعي، فتجاوز النقد البنيوي التكويني ذلك، فيمنحنا رؤية أكثر شمولية من تلك القيود المرتبطة بتحليل النص من داخله. وهذا يتضح في كتابات (جورج لوكاتش) التي مثلت نقطة التحول الرئيسة في دراسات علم اجتماع الأدب، من خلال " رصده لمدى تعبير الرواية عن التشيؤ والاستلاب داخل المجتمع، بوصفها النوع الأدبي الأكثر نموذجية بالنسبة للمجتمع البرجوازي. وقد أسهب تلميذه (لوسيان غولدمان) في شرح الجوانب الاجتماعية للرواية"[2]. فقد بدأت الرؤية إلى الشخصية تتغير وأصبحت تحتل الصدارة، فلم تعد مجرد كائناً ورقياً أو عنصرا شكلياً، بل ان لها دورا أساس

---

[1] المصدر السابق، ص213.

[2] النص والسلطة والمجتمع/ القيم السياسية في الرواية العربية، د. عمار علي حسن، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص55.

بحكم أنها المكون الذي تنتظم انطلاقاً منه مختلف عناصر الرواية. لذا اهتمت النظريات النقدية بالشخصية، وبالبحث عن دواخلها وعوالمها الخاصة. وبدت الرواية من أكثر الأجناس الأدبية احتفاءً بالشخصية، سواء أكان ذلك في مضامينها أم في تشكيلها الفني. إذ إن الكيفية التي بها يبني الروائي الشخصية تشكل بنية النص، وتمنحها القدرة على التجلي في النص بأشكال مختلفة، ومن ثم تعد بتجلياتها عنصرا بارزاً في الرواية. وهنا لا يمكن للشخصية أن تظل تابعة للحدث أو منفعلة به وإنما "تصبح جزءا مكوناً وضرورياَ لتلاحم السرد، ويخبرنا لوسيان غولدمان بأن الشكل الروائي الذي درسه لوكاتش هو الذي يمتاز بوجود بطل روائي أسماه بالبطل الإشكالي الذي يقوم ببحث منحط، أو شيطاني بتعبير لوكاتش، عن قيم أصيلة في عالم منحط. وهذا التحديد الذي توصل إليه لوكاتش واستلهمه غولدمان بعده وطوره باتجاه تكويني، هو التأكيد على العلاقة بين البطل والعالم وجعلهما في موقع القرار بالنسبة لبنية الملحمة أو الرواية أو غيرهما من الأجناس الأخرى"[1]. ومن جانب آخر، تكتسب الشخصية أهميتها عندما تمثل رؤية للعالم ولذاتها، وهذا ما يتضح في تحليل (ميخائيل باختين) للشخصية ووصفها ، وفهم العلاقة القائمة بينها وبين العالم. وتركيزه على الشخصية بوصفها وجهة نظر أو رؤيةً للعالم ولنفسها جعله يفترض طرائق خاصة في التحليل والوصف الفني. فيرى انه "ليس الوجود المعطى للشخصية، ولا صورتها المعدة بصرامة هو ما يجب الكشف عنه وتحديده، إنما وعيها وإدراكها للعالم ولذاتها، أو كلمتها الأخيرة حول العالم ونفسها[2].

المحور الأول: الشخصية الإشكالية

إن الشخصية تعد عنصرًا تكوينيًا وبنائيًا في الرواية، لذا يبني الروائي ايديولوجية رؤاه لعالمه الروائي من خلالها، إذ انها تفوق العناصر الأخرى أهمية لأن الرواية تحتاج إلى شخصيات متكلمة تحمل رؤيتها الايديولوجية المتميزة، وتعبر عنها بلغتها الخاصة. وهذا ما يؤكده ميخائيل باختين لأن "الإنسان المتكلم في الرواية

---

[1] المصدر السابق، ص209.

[2] المصدر السابق، ص210.

جوهريا، هو انسان اجتماعي ، مشخص، محدد تاريخياً، وكلمتُه لغة اجتماعية وليست لهجة فردية. وهو دائما صاحب ايديولوجيا بقدر أو آخر، وكلمته هـي دائمـا قـول ايديولوجي واللغة الخاصة في الرواية هي دائما وجهة نظر خاصة إلى العالم تـدعي قيمة اجتماعية"[1]. وبما ان ظهور الرواية اقترنت بظهور المجتمعات البرجوازية فـي أوربا، فصوّرت تناقضات هذه المجتمعات، وهذا ما يتضح عند جورج لوكاتش الـذي تناول في كتاباته هذه التناقضات تحت عنوان البطل الإشكالي أو المأزقي والباحث عن قيم الأصالة في عالم مترد ومترهل خلقيـاً[2]. وعلـى هـذا النحـو، يخضـع عـالم الشخصيات إلى بنية سياقية ومرجعيات متنوعة يتم تأسيسها من قبل الروائـي لكـي تساعد القارئ على إيجاد تفسير لفهم العالم.

وهذا يعني أن هناك حاجزا بين بطل الرواية وعالمه، يدفعه إلى الاصطدام بـالقيم الأصيلة وسط عالم متفسخ، ويزداد وضع البطل سوءا، وتوترا، واضطرابا عند تشبثه بقيمه الذاتية مما يشي بتفاعلات مستمرة، تنعكس على السياق الروائي، حبكة وشكلاً ودلالة. وقد يتكيف البطل مع العالم ويهادنه، وهذا ما يفضي إلى تقهقره هو وعالمـه معاً إذ يبتعد كل منهما عن القيم الأصيلة التي تتحكم بالرواية.. وهذه لا تظهر بشـكل مباشر سواء كان ذلك في ضمير البطل أو في العالم، بيد انها مع ذلك تؤثر في عـالم الرواية تبعاً لنسق ضمني أو كما يذهب لوكاتش إلى عدها شكلاً أدبياً للغياب لذا فـان حضورها سيشكل أساساً في ضمير الكاتب على شكل ضـرورة تصـويرية اخلاقيـة، وليس واقعاً حقيقياً معاشا[3]. ويبدو تأثر لوكاتش بالأعمال الفلسفية والأدبيـة التـي تضمن الانسجام الداخلي بين اجزائها وعلاقتها بمجموعة من العناصر التي تشكل مع بعضها بنية دالة؛ لأنها تبين الحالة الذهنية للشخصية من جهة وتكشف عن مكوناتها

---

[1] الكلمة في الرواية، ميخائيل باختين، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافـة، دمشـق- سورية، 1988، ص110.

[2] الرواية كملحمة بورجوازية، جورج لوكاتش، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعـة للطباعـة والنشر، بيروت. لبنان، ط1، 1979، ص6.

[3] الشخصية في أدب جبرا إبراهيم جبرا الروائي، د. فاطمة بدر، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد- العراق، ط1، 2012، ص15-20.

الداخلية ودوافعها من جهة أخرى. إذ إنَّ الشخصية الاشكالية تتمظهر في النص من خلال السمات الايديولوجية عند تواصلها مع الشخصيات الأخرى، فتتجاوزهم بأفكارها المعارضة للقيم التي تسود مجتمعها وتكون رؤيتها مغايرة للعالم. لأنها تتحول لشخص يبحث عن " قيم أصيلة في عالم منحط هو الآخر ولكن على صعيد متقدم بشكل مغاير ووفق كيفية مختلفة. ويجب أن نفهم من تعبير القيم الأصيلة بالطبع، لا القيم التي يقدّر الناقد أو القارئ أصالتها، وإنما تلك التي تنظّم بصورة ضمنية مجموع عالم الرواية من دون أن يكون حضورها فيه واضحاً. ولا شك أن هذه القيم خاصة بكل رواية على حدة، كما أنها تختلف من رواية إلى أخرى"[1]. والشخصية التي تبحث عن هذه القيّم في واقع اجتماعي غير متوازن لابد ان تتصف بقدر من الوعي الفكريّ العميق في عالم معقد يرافقه القمع والتهميش؛ لكنها غير قادرة على اصلاحه. ومن ثم ينتهي بها الحال إلى أن تصبح شخصيّة متشيّئة ومغتربة.

ولذا تكون للبنيوية التكوينية التي اعتمدها غولدمان دلالة في النصوص الروائية ذات النزعة الفلسفية والفكرية التي تعبر عن الوعي الجماعي لفئة اجتماعية تحاول الانتقال إلى عوالم أخرى بحثاً عن القيم المتوازنة والمتماسكة التي لم تجدها في واقعها. وهذا ما نجده في سلسلة المتاهات إذ اعتمد شاوي في بناء عالم شخصياته على الجانب الاشكالي وذلك من خلال وضعها أمام متاهة الحياة التي عاشتها في تلك الفترة، وللكشف عن الجوانب الخفيّة للشخصية الإشكالية وما تنطوي عليها من سمة التشيؤ والاغتراب من خلال توظيفهما توظيفاً روائياً بمقدرة فنية كبيرة تثير الكثير من الجدليات، ولاسيّما ما تعلق بالذات الإنسانية والقوى المتصارعة واقحام لما هو ذاتي بما هو موضوعي، لأن العالم الروائي يوازي عالم الواقع ويحاكيه.

أولاً/ الشخصية المتشيّئة

تعد الشخصية المتشيّئة صورة مصغرة عن الشخصية الإشكالية في الحياة، وهذا يتضح لنا في المتاهات التي تصور كيفية تشكّلها من خلال تجلياتها وتناقضاتها في

---

[1] مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، لوسيان غولدمان، ترجمة: بدر الدين عرودكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سورية، ط1، 1993، ص14.

النص، لأن "الشخصية في العالم الروائي ليست وجوداً واقعياً بقدر مـا هـي مفهـوم تخييلي تشير عليه التعابير المستعملة في الرواية للدلالة على الشخص ذي الكينونـة المحسوسة الفاعلة التي نعاينها كل يوم، هكذا تتجسد على الورق فتتخذ شـكل لغـة وشكل دوال مرتبة منطقياً أو انزياحاً ينتج عنه انحراف عن القاعـدة والمعيـار فـي اتجاه توليد الدلالة في ذهن القارئ بعد فكه شفرة العلامات الدالة، كما أن الشخصـية هي مدلولات هذه العلامات في تراصفها وتناسقها هنا، ويمكن أن تكون العلامة حرفاً أو كلمة أو عبارة أو جملة. ثم إن الأقوال والأفعال والصـفات الخارجيـة والداخليـة والأحوال الدالّة عليها العلامات هي ما يحيل إلى مفهوم الشخصية لا الشخص، لأننـا في الوقت الذي نحاول فيه فهْم حوارية اللغة التي تمتح من جميع لغـات المجتمـع، ومن جميع مجالات الحياة المعرفية نستحضر المفاهيم لا الأشخاص، كمـا نستحضـر الدلالة لا المرجع"[1]. ولذا فإن فهم الشخصية ومعرفة كيفية تشكلها في الرواية يجب أن يكون من خلال معرفة مواقفها في النص إزاء تحولات واقعهـا الاجتمـاعي. وإن عناية المنهج التكويني بالشخصية الإشكالية تنطلق من كونها بنية تكوين فاعلة فـي بناء الرواية من خلال تعبيرها عن المعنى.

إنَّ الوقوف على الشخصية المتشيّئة التي تحتل مساحة كبيرة من العالم السـردي للمتاهات، يستدعي منّا تتبع مفهوم التشيؤ الذي ابتكره (كارل ماركس) للتعبير عـن الحالة التي يعيشها الفرد وتحوله لشيء أو بضاعة قابلة للتبادل فـي عـالم المـادة. فالتشييء الذي "كان ماركس يحلّله يجعل من كل القيم عبر الفردية المضمرة ويحولها إلى خواص أشياء ولا يخلف وراءه كواقع إنساني جـوهري وجلـي سـوى الفـرد المحروم من كل رابطة مع المجموع. بحيث أن الإبداع الأدبي الذي كان يطابق حقـاً البنية التشييئية للمجتمع الليبرالي كان تاريخاً للفرد الإشكالي كمـا عبـر عنـه الأدب الغربي منذ دون كيشوت وحتى ستندال وفلوبير مـرواً بغوتـه"[2]. ومـن المنطلـق الماركسي الذي عد العالم متشيئاً والإنسان قيمة متشيئة في واقعه الاجتماعي صـاغ

---

[1] النقد البنيوي والنص الروائي، محمد سويرتي، دار أفريقيا الشرق، ط2، 1990، ص70.

[2] المصدر السابق، ص203.

(جورج لوكاش) في هذه الظاهرة فأخرجها من الموضوعات الاقتصادية إلى سياق العلاقات الاجتماعية، فيرى أن التشيؤ " لا يعني شيئاً آخر سوى تلك العلاقة القائمة بين الأشخاص والتي تتخذ طابعاً شيئياً"[1]. بينما يوضح غولدمان ظاهرة التشيؤ في تناوله للروايات الغربية، لاعتقاده بوجود تقارب بين هذه الظاهرة وبدايات الأعمال الروائية. فيقول :"إن ما يعنينا أكثر من أية تفاصيل من هذا القبيل هو بنية عالم اكتسبت فيه الموضوعات واقعاً خصوصياً مستقلاً؛ وتَشَابَهَ فيه الناس مع هذه الموضوعات حين لم يتمكنوا من السيطرة عليها؛ عالم لا وجود فيه للمشاعر إلا بقدر ما تتبدّى عبر التشيؤ"[2]. بمعنى أن سيطرة التشيؤ على المجتمع قد نزعت الصفة الإنسانية عن الفرد وحوّلته إلى شيء، وهذا بدوره قد انعكس على وعي الروائي الذي حوّل شخصياته التي تعيش في عالم يفقد فيه الإنسان السيادة عليه إلى أشياء. ويمكن أن نسوق هذا الشاهد من (متاهة آدم) مثالاً على ذلك :

قالت ذلك دون أن تنتظر:

هـــــــــــــــــــــــــذيـــــــــــــــان

هــل أنا

حطـــــام ســفيــنةٍ أحـــــرقهـــــا القـــــراصنـــة

أم نجـــمـــــة تهـــــــرب من الســماء

قــُلتُ للأرض: إنني وردة جــريحــة

قــلتُ للـــريح: اذكـــــري خطــوتي وباركيها

قــُلتُ للأشــجار: وداعًا أيتهـــــا الجـــــذور[3]

تبدو الشخصية هنا وكأنها في حوار داخلي مع ذاتها، فيشير النص إلى ملامح الشخصية الداخلية، وإلى ما ينتابها من حالة الانشطار، ولاسيما عندما تتوغل في اعماق ذاتها لتكشف عن أبعادها النفسية. ولأن الشخصية عانت من صراعٍ وعاشت

---

(1) التشيؤ/ دراسة في نظرية الاعتراف، أكسل هوينث، ترجمة: د. كمال بو منير، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012، ص31.

(2) المصدر السابق، ص215-216.

(3) الرواية، برهان شاوي، دار بغدادي للطباعة والنشر، بغداد- العراق، ط1، 2020، ص120.

متشيئة مع واقعها، فعبرت عن ذلك التشيؤ بتصوير حالتها بـ (حطام سفينة، نجمة تهرب من السماء، وردة جريحة) لتصف انهزاماتها وانكساراتها ولكي تكون مرجعا لفهم كينونة الشخصية. فقد حرص برهان شاوي على الكشف عن الصفات الداخلية والمزاجية للعنصر النسوي في متاهاته من خلال عرض أفكارها ورغباتها. ولأن الآخر/ الرجل من منظور الشخصية الإشكالية يتعامل معها كأداة أو كشيء لتحقيق اهداف وينظر لها على أنها مكوّن هامشي: "فهو رجل لديه أحلامه وطموحاته وكرس حياته لهذه الأحلام والطموحات، وأنا له ديكور مكمل يحتاجه للوصول إل هذه الأهداف"[1]. لذا نجد في بوح الشخصية عن عوالمها الداخلية قد مكننا من فهم عوالمها الذاتية المتشيئة، فهي الأداة التي يستخدمها الرجل لمنافعه المتعددة ولاسيَّما عندما تعيش القهر الوجودي في ظل السلطة الذكورية. وقد تكون المرأة أداة الرغبات اللاواعية في المجتمع المتسلط الذي لا يعترف بوجودها ككائن قائم بذاته. ونستدل على ذلك بمقطع سردي من (متاهة حواء): " فجأة نهض الرجل الغريب.. سألته عن عشيقي، فقال لي إنه اشتراني منه. تصوري ما قال: اشتراني منه. لقد سلمه جواز سفري وكل أشيائي، وأنا الآن ملكه، بل وأوضح لي بأن هذه الشقة هي له أيضاً وليست لعشيقي، وأن عشيقي هو قواد متمرس، وهو وعشيقي، محميان من قبل المافيا...ثم أخذني إلى شقق أخرى، وشيئًا فشيئًا، دخلت هذ العالم. لقد أوضح لي بأن الأشهر الستة الأولى سيقبض كل الواردات، إلى أن يسترجع ما دفعه لعشيقي السابق كثمن لي"[2]. يضفي الطابع الإشكالي في النص حالة التشيؤ والانشطار بين الأنا والآخر، ويعكس الرؤية المأساوية للشخصية التي هي انعكاس لما تعانيه من التوتر والقلق. فنلمح تمظهر لظاهرة التشيؤ في العلاقات بين البشر. ففي الحوار السابق في النص يتضح تشيؤ الشخصية حين تصبح مجرد سلعة قابلة للتبادل مقابل سلعة أخرى. ووعيها الإشكالي يولد لديها شعورا عميقاً بالعزلة والعجز عن التواصل مع الذات الجمعية وهذا يتمظهر في رفضها وعدم رغبتها في تغيير واقعها الذي

---

[1] الرواية، ص56.

[2] الرواية، ص 428.

يستخدمها كسلعة. لذا كانت المرأة هي أكثر الأمثلة على الشخصية المتشيئة في المتاهات، لأنها تصور "وضعية القهر بكل أوجهها وديناميتها ودفاعاتها في المجتمع المتخلف. في وضعيتها تتجمع كل تناقضات ذلك المجتمع.. فهي أكثر العناصر الاجتماعية تعرضاً للتبخيس في قيمتها على كل الصعد: الجنس، الجسد، الفكر، الإنتاج، المكان"[1]. ومن هنا فإن ظاهرة التشيؤ التي مرّت بها الشخصية الإشكالية إنما كانت صادرة من فعل الواقع الاجتماعي، فتتضح صورة الشخصية وتفكيرها للمتلقي عندما يحاول الروائي تنميتها من خلال الوصف والخيال للكشف عما تضمره في عالمها الداخلي. وليس أدل من هذا الموقف على أن الشخصية تندرج في إطار الجوامد كما ورد في (متاهة حواء) ولا سيما عندما تقدم الشخصية نفسها:

أنا آدم الأحمق.

جمجمتي تطن بالذكريات المجنونة.

ذبلت زهرة الأمل في المزهرية وتعفنت، بل وانبعثت منها عفونة اليأس.

أنا أكثر فتوة من الألم، لكنني في أعماقي عجوز هرم.

رغبتي أشد بريقًا من عين نسر محنط في متحف للكواسر والخراتيت والماموثات الوحشية.

ذكرياتي الحزينة تقودني من أنفي مثل دب حزين ألبسوه ثياب مهرج .

أنا الذي أواجه المجهول مثل نحت شامخ وبارز في مقدمة سفينة مهجورة.

إننا أموات. كلنا أموات، ونحاول أن نتظاهر بأننا أحياء"[2].

بدأت الشخصية تقدم نفسها من خلال الحوار الداخلي تقديماً مباشراً، إذ انها تكشف عن أبعادها النفسية والفكرية. فعلى الرغم من وجود سمات إنسانية يشير إليها النص كتجسيد بشري إشارة سريعة (الذكريات، الأمل، فتوة، عجوز، رغبة...إلخ) إلا أن الشخصية الإشكالية عُرضت في صورة متشيّئة ساعدنا الجانب

---

[1] التخلف الاجتماعي/ مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط9، 2005، ص199.

[2] الرواية، ص495.

النفسي في فهم تكوينها وما يعتمر داخلها من أحاسيس ومشاعر تجسدها في صـورة جثة أو تمثال (عين نسر محنط، نحت شامخ، كلنا أموات). وهذا كله يسهم في تشكيل الشخصية إشكالياً، فمن خلال الأبعاد الداخلية تتضح دلالات نفسية تتمخض عن هـذا الوصف الذاتي الذي يرمز إلى العجز والاستسلام وعدم قدرة الشخصية على الـتحكم في واقعها ومصيرها في مجتمع قائم على التسلط والاسـتبداد، فتعـيش الشخصـية صراعاً بين ذاتها وبين القيم الاجتماعية، لذا خيل إليها أنهم أموات.

ومن جانب آخر، حين يطفو التشيؤ على العلاقات الاجتماعية للشخصية الإشكالية عندها تفقد السمة الإنسانية وتعجز عن تغيير عالمها المـادي المتشـيّء، فتفقـدها القدرة على الانسجام مع العالم وتتخذ علاقتها مع المحيط طابعاً شيئياً. وهذا ما يتبين في عالم المتاهات، إذ إنَّ " البطل الروائي لا بد له أن يكون حائزاً في حركته ومسـار حياته، وفي منطقه بالذات قدراً كافياً من الاستقلالية عن حياة الروائي وعـن منطـق عقله الظاهر، فانه لا بد له كذلك أن يحظى بقدر مماثل من الاسـتقلالية فـي منطـق عقله الباطن. فالبطل الروائي ليس نسخةً طبق الأصل عن الروائي، والنسخة آياً مـا يكن حظها من الدقة والمطابقة، لا يمكن أن تدب فيها الحياة، وما مـن شـيء يقتـل الحياة في البطل الروائي كالآلية؛ ولهذا لا يمكن تصوره بحال من الأحوال تابعاً لخالقه تبعيةً روبوتية سواء في شعوره أو لا شعوره"[1]. وفي (متاهة إبليس) يتجسد الوعي الإنساني المتشيّء للشخصية الإشكالية (آدم بوناروتي) في فهمها لما يحيط بها:

فقال لها بصوت صادق:

-هل رأيتِ ذلك النوع من الجرذان المسمى الهامستر الذي توضـع فـي الأقفـاص الدائرية المدرجة والمتحركة؟ حيث يركض الجرذ فيدور القفص الدائري، لكن الجـرذ برغم حركته على الدرج الدوار يبقى في مكانه، فهو يركض ويركض دون أن يصـل إلى مكان. هل رأيت ذلك؟

نظرت إليه دون أن تفهم قصده من ذلك، فقالت له:

---

[1] الروائي وبطله/ مقاربة اللاشعور في الرواية، جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت- لبنان، ط1، 1995، ص8.

-نعم، رأيت ذلك، في واجهة أحد المحلات التي تبيع الحيوانات وأقفاصها.

نظر إلى عينيها بتركيز دون أن يبعد عينيه عن وجهها وسألها:

هل رأيتِ ذلك الجرذ الهامستر المسكين؟

-نعم رأيته، المسكين.

-ذلك الجرذ الهامستر هو أنا

-أنت؟

-نعم، أنا.

-أنت؟ أأنـــــت جرذ؟

قالت ذلك متعجبة من محاولته إهانة نفسه، إلا أنه شعر براحة وهــو يعــري ذاتــه أمامها، فواصل بنبرة أكثر حيوية:

-لا أريد أن أكون بطلًا، بل ولا أريد أن أكون مثل بطل روائـــي هــارب مــن روايــة درامية مليئة بالحكم الفلسفية. لا أريد أن أجلد نفسي كمــا يفعــل بعــض المتــدينين المتعصبين في بعض الأديان، لكني ببساطة أريد أن أعيش حرًّا، ولكي أشعر بحريتـــي الداخلية فإني أتقبل الأشياء كما هي، لا أتحمس لجمالها بشكل مبالغ فيه، ولا أشــمئز من بشاعتها المرعبة بطريقة تبعدني من تقويم ذلك بشكل صحيح؛ لــذلك كثيــرًا مــا أعيش تحت وطأة وضوح لا يرحمني، بل يملأ روحي بالكآبة والحزن، وبعذاب يخــز روحي مثل وخز ضوء الشمس الساطعة لبؤبؤ العين بعد الخروج من كهف مظلم[1].

تشكل وعي الشخصية المتشيئة في النص السابق من خلال الوعي الذاتي الــذي حولها إلى شخصية خاضعة لواقعها وتفتقر لماهيتها الإنسانية، وبتعبير آخــر، لقــد تمثل التشيؤ هنا في القوة العقلية التي تحكم بهــا المجتمــع وأصــبحت بمثابــة أداة سيطرت عليها. فأتخذ " العقل منعرجاً جديداً فسقط في ذلك النفق المظلم الذي أصــبغ عليه صبغة الآداتية، وأصبح بمثابة عقل أداتي يسيطر على الحياة الإنسانية بالاستناد إلى المنهج العلمي الذي مد سيطرته من جهة على الطبيعة وسعى لإلغائهــا، وعلــى

[1] الرواية، برهان شاوي، دار بغدادي للطباعة والنشر، بغداد- العراق، ط1، 2022، ص254.

الإنسان نفسه من جهة أخرى"[1]. لذا يجسد النص الواقع القائم والأنظمة الاستبدادية التي سلبت القيم الإنسانية من الشخصية، فيعبر النص عما يدور في العـالم الـداخلي للشخصية الإشكالية ووعيها المتشيّء ويعكس أفكارهـا ورؤيتهـا مـن المجتمـع. وبالتالي، فإنَّ الوعي الاستهلاكي فرض على الشخصية أمام رغبتها بالحرية ولو لـم تكن مشروعة في مجتمعها، والدليل على ذلك يبدو لنا جلياً في النص: (لكن الجـرذ برغم حركته على الدرج الدوار يبقى في مكانه، فهو يركض ويركض دون أن يصـل إلى مكان)، وهكذا يسلم العقل زمام أمره للتشيؤ، وشيئاً فشيئاً ينصاع للواقع وتصـبح العلاقة قائمة على السيطرة نتيجة تشيؤ العقل والقيم الإنسانية.

ثانياً: الشخصية المغتربة:

إذا كانت لفظة الغربة تأتي بمعنى تبدل المكان أو تغير المحيط أو المجتمع فهي تختلف عن لفظة اغتراب التي تعني الانفصال عن شيء ما والابتعاد والعزلة عنه، إذ انها مشتقة من الفعل Alienate المأخوذة عن أصلها اللاتيني Alienatus وتعنـي الذي لا يملك ذاته وهو تعريف ميتافيزيقي للفظة اغتراب.[2]. وكذلك تشـير المعـاجم العربية إلى أن "الاغتراب مصدر من الفعل (اغترب) وهو مصطلح دال علـى معنـى الضياع، وفقدان الإنسان شخصيته وكيانه مما يجعله يحـس بالحاجـة إلـى الثـورة والخروج على المألوف كي يستعيد هذا الكيان، وتلك الشخصية"[3].

ولأنَّ فكرة الاغتراب "موجودة في عمق الوجود الإنساني في تراثـه التـاريخي الحضاري وتطورت ظاهرة الاغتراب كحقيقة وجودية، إنسانية انطولوجيـة ملازمـة للوجود البشري على الأرض"[4]. فقد أصبحت موضوعاً محورياً في العصر الحـديث،

---

[1] فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، حسن حنفي وآخـرون، دراسـات الوحـدة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 2005، ص55-56.

[2] فلسفة الاغتراب/ قراءة نقدية منهجية في فلسفة الاغتراب، علي محمد اليوسف، الدار العربيـة للموسوعات. بيروت. لبنان، ط1، 2013، ص9.

[3] معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط1، 2008، ص 1602.

[4] المصدر السابق، ص49.

ولاسيما عندما أعلن (هيغل) " أن الإنسان أصبح عاجزاً في علاقاته بنفسه ومجتمعه والمؤسسات التي ينتمي إليها حتى استحال انتماؤه نوعاً من اللاانتماء والهامشية. ومن هذا المنطلق عرّف الاغتراب بأنّه حالة اللاّقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتُوظّف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص. وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمّه وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته"[1]. بينما حوّل (كارل ماركس) الاغتراب من مفهوم فلسفي إلى مفهوم مادي اجتماعي، إذ أنه يرى "إن إنتاج الأفكار والتمثيلات والوعي، يرتبط قبل كل شيء بصورة مباشرة وصحيحة بنشاط البشر المادي وتعاملهم المادي"[2]. فعندما "يفقد إنسان المجتمع البرجوازي وضوح شخصيته واستقلالها. يتفاقم اغتراب الإنسان عن المجتمع والناس بعضهم عن بعض حتى في الأسرة. الأمر الذي وجد تصويراً له في كثير من أعمال الأدب العالمي في نهاية القرن التاسع عشر والثلث الأول من القرن العشرين"[3]. ويؤكد ذلك (لوكاتش) في نظريته للرواية وتصويره لحالة الفرد الذي لا يجد الانسجام مع مجتمعه، إذ ان "الروح المغتربة تستجير بالأشكال الفنية، وتنزع إلى أزمنة لا اغتراب فيها... فبطل الرواية، وهو شخصية إشكالية تعريفياً، يبحث عن موضوع أضاعه بأدوات تزيده ضياعاً، أو يبحث، ضائعاً عن موضوع لم يلتق به أبداً"[4].

---

[1] الاغتراب في الثقافة العربية / متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، الدكتور حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، ط1، 2006، ص35–38.

[2] الاغتراب عند كارل ماركس، نعيمة وابل، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص47.

[3] الواقعيّة النقديّة في الأدب، س. بيتروف، ترجمة: د. شوكت يوسف، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ص142.

[4] نظرية الرواية والرواية العربية، د. فيصل درّاج، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2018، ص10، 14.

وبناء على ما سبق، فإن الدراسة حاولت تحليل نصوص المتاهات مـن خـلال تسليط الضوء على الشخصية الإشكالية المغتربة التي تصطدم بالقيم والثوابت فتعيش تائهة عن واقعها. وهذا ما يتضح في البنية النفسية للشخصية المغتربة في (متاهـة آدم) التي تسعى إلى إدراك ذاتها؛ لأنها تعيش اغتراباً وجوديا وروحياً. ونلمح ذلك في حوارها الداخلي : " ما الذي جاء بي إلى هذه المتاهة؟ فمن متاهة حياتي فـي بلـدي إلى متاهة حياتي هنا في أوروبا!...الحياة هنا في ألمانيا منظمة بشكل كبير وهادئـة جدًّا؛ لكنني غير سعيدة، لماذا؟ أنا نفسي لا أعرف السبب. أحسستُ أننـي، وبمـرور الأيام، صرتُ قاسية القلب، باردة الأحاسيس، أشعر بالوحدة والوحشة"[1]. من السمات البارزة في النص تقديم وعي الشخصية المغتربة بشكل مباشر وبضمير المتكلم مـن خلال المونولوج الذي تجلى في الاهتمام بالكشف عن الذات الفرديـة، فقـد تعـددت ملامح الاغتراب؛ لإحساس الشخصية بالغربة في واقعها ومن واقعها. وبتعبير أكثـر وضوحاً ان الوصف الخارجي قد قُدّمَ في النص من داخـل الشخصـية ولـيس مـن خارجها، أي من خلال الوعي الذي يمثل الاغتراب السلبي للشخصية أي أنها من دون إرادة منها تعيش عزلتها النفسية، واغتراب من هذا النـوع يمحـي عنـه الصـفات الإيجابية للغربة الوجودية؛ لأن الرؤية السوداوية تحيط بالشخصية وتحـدها. وعلـى هذا النحو، تعد الشخصية هنا مغتربة ذاتياً قبل اغترابها الوجودي؛ لأنهـا لا تغتـرب عن الواقع ما لم تعِ ما سبق لها، وهذا يتبين في النص في قولها: (فمن متاهة حياتي في بلدي إلى متاهة حياتي هنا في أوربا). فتمثل اغتراب الذات تناقض وتنـافر بـين حاضر الشخصية وماضيها. لأن "الاغتراب ابتعاد وانفصال عـن الجـوهر الحقيقـي المثالي للذات، أو الانفصال عن الموضوع سواء أكان الآخر أم المجتمع أم المحـيط، والاغترابي يستثمر عزلته النفسية بالتأمل ومراجعة الذات والاحتكـام إلـى معياريـة حقيقتها الجوهرية المثلى ومن ثم دراسة بواعـث اغترابـه الأخـرى الموضـوعية واستحضار تصورات ومفاهيم ارتدادية للعودة ثانية للمحيط الـذي اعتزلـه بـرؤى

[1] الرواية، ص24.

وإبداعات قد تكون فكرية، اجتماعية.. الخ"[1]. وفي (متاهة حواء) نجد نفس الظاهرة للشخصية المغتربة، ولكن هنا تُقدَّم من خلال المنظور الموضوعي للراوي الخارجي: "فجأة، اهتزت الغرفة والمستشفى من انفجارات السماء المرعبة. كان صوت البرق والرعد يبعث الخوف والرهبة في النفس البشرية التي تشعر بالضعف والضآلة أمام قوى الطبيعة الجبارة. شعر وكأنه معزول عن العالم، فهو هنا روح تائهة في غرفة شاحبة في مكان غامض"[2]. الشخصية هنا عاجزة وتعي عجزها في علاقاتها بالمجتمع وبالطبيعة، فتحولت إلى شخصية مهمشة وعاجزة لا تقوى على تحمل واقعها ومضطرة لتعايشه. فتعيش الشخصية اغترابها الذاتي على صعيد المشاعر والوعي، وعزلتها في الخضوع لواقعها (يبعث الخوف والرهبة، تشعر بالضعف والضآلة، شعر وكأنه معزول عن العالم). إذ ان الشعور بالضياع حقيقة اغترابية ويمكن أن تزول بزوال بواعثها إذا رفضتها الشخصية ولم تنسجم معها. ولكن نجد في النص ان الشخصية مستسلمة لواقعها وخاضعة لاغترابها الروحي والوجودي.

ويسيطر الاغتراب على الإنسان عندما يفقد القدرة على التوازن بين عالمه الداخلي والعالم الخارجي الذي يحيط به، لذا يتجلى نمط آخر من الاغتراب وهو الاغتراب الاجتماعي الذي عكسته لنا الشخصية في (متاهة الأشباح)، فجسدت بؤس واقعها، ولا سيما عندما تقدم وعيها ورؤيتها الفردية من خلال تصوير الذات والمجتمع: " أنا إنسان أعزل، وكاتب أعزل، والعزلة تمنحني الحرية، لكني محكوم بأن أعيش وسط المكائد، وأتخبط في الوحل، والأكاذيب، والدسائس المستترة، الخفية والمعلنة، والعفونة الخانقة فأنا أعيش، من خلال وظيفتي، وسط هذا المستنقع النتن. هذه ليست بلادًا وإنما هي مستنقع كبير عفن. مقبرة كبيرة مترامية الأطراف. مشرحة كبيرة مليئة بالجثث المجهولة. اسطبل كبير يزدحم بالبهائم والجياد العمياء"[3]. يرصد النص صورة المجتمع المتدهور القائم على صراعات شهدتها الشخصية الاشكالية في

---

[1] المصدر السابق، ص122.

[2] الرواية، ص87.

[3] الرواية، برهان شاوي، دار بغدادي للطباعة والنشر، بغداد– العراق، ط1، 2021، ص20.

واقعها المزري الذي يمارس القمع والضغط على الفرد، وكذلك يسلّط النصُ الضـوءَ على صورة الإنسانية المهانة معتمدا على رؤيـة الشخصـية للعـالم. إذ أن" البنـى والأنظمة السائدة في المجتمع العربي مغرّبة باعتبار أنّها تُحيل ليس فقط الأفراد، بـل بعض الجماعات والطبقات، إلى كائنات عاجزة في تعاملهـا مـع المجتمـع والدولـة وغيرها من الأنظمة والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهنـاك مسـألة عجز المجتمع نفسه لفقدانه السيطرة على موارده ومصيره. بسبب تحكّم لـيس فقـط القوى الداخلية، بل الخارجية أيضاً. لقد تمكّنت هذه القوى الخارجية لزمن طويل مـن أن تجرد الأُمة من مناعتها، وتعطّل قدراتها، وتفكيك عوامل وحدتها، بخلـق كيانـات صغيرة ومفتعلة وهزيلة لا تملك مقومات الحياة، ولا تستطيع سوى أن تكـون تابعـة وهشّة ومنقسمة على نفسها"[1]. ومع ذلك، كما أشرنا، تتنقل الشخصية بـين الـذات الإيجابية والأخرى السلبية (العزلة تمنحني الحرية، لكني محكوم بأن أعـيش وسـط المكائد)، فتعيش اغترابها نتيجة الاستبداد والقهر وما تتبعه من ضياع الوعي والقيم الإنسانية. وهذا يمثل الكشف عن بنية الاغتراب في مرحلة الفهم، أمـا بنـاء عـالم الشخصية المغتربة في عملية تفسير تنبع من رؤيتها للعالم. فهـي رؤيـة تشـاؤمية للواقع لأن الشخصية ترى أنّ الخلاص من القمع والكبت ينبغي أن يكون جمعيًّا وليس فرديًّا وهذا لا يحدث لأن (هذه ليست بلادًا وإنما هي مستنقع كبير عفن. مقبرة كبيرة مترامية الأطراف. مشرحة كبيرة مليئة بالجثث المجهولة. اسطبل كبير يزدحم بالبهائم والجياد العمياء). وهناك مفهوم آخر يحدد الاغتراب على أنه " اللامعنى، ويشدد على الفراغ الهائل الذي يحس به الإنسان في العصر الحديث، نتيجة لعدم تـوافر أهـداف سياسية تعطى معنى لحياته، وتحدد اتجاهاته، وتستقطب نشـاطاته"[2]. وعلـى هـذا النحو، يتمثل الاغتراب بتـوترات نفسـية بوصـفها ردَّ فعـل للظـروف السياسـية والاجتماعية، فتنقل الشخصية وعيها الذاتي ورؤيتها عن الواقع والوجود.

---

[1] المصدر السابق، ص76-77.

[2] الاغتراب في أدب حليم بركات رواية ستة أيام، بسام خليل فرجيه، مجلة فصول، العدد1، مج 4، القاهرة، 1983، ص 209.

ومن جانب آخر، تتسم الشخصية المغتربة بانفصالها عن عالم الآخر وانعدام التوازن نتيجة لحالة نفسية شعورية هي اللاانتماء الذي تشعر به تجاه الآخر مما يجعلها تتمرد على واقعها وتتخذ موقفاً سلبياً من المحيط، وهذا ما نجده واضحاً في (متاهة الأرواح المنسية): "لا أدري كيف أشرح ذلك..؟! فأنا الآن إذ أكتب هذه الأسطر، أشعر بغربة ووحشه هائلة..؟ لا أشعر بهذه الجوقة العائلية التي تحيط بي ليل نهار.. ربما أنا مصابة بمرض التوحد ؟؟ كنت كمّن مسه الجن.. كما كانت بعض أخواتي تعلق.. كانت شخصيتي مختلفة عن باقي أفراد العائلة.. فأنا متمردة على كل التقاليد الدينية والاجتماعية.. لا أخاف من أي شيءٍ"[1]. فالشخصية هنا تعاني الاغتراب النفسي والفكري، لذا لا تشعر بانتمائها لعائلتها إذ أنها تعزل نفسها عن البقية (كانت شخصيتي مختلفة عن باقي أفراد العائلة) وتعيش التفرد والعزلة عن العائلة في عالمها الذاتي، ولأن "الإنسان في العائلة التقليدية عضو أكثر منه فرداً مستقلاً، يُعتبر كُلّ تصرف أو قرار مستقل خروجاً عن وحدة العائلة وتنكر لجميلها. بكلام آخر، إن كون العائلة وحدة إنتاجية اقتصادية ونواة للتنظيم الاجتماعي يجعل القرارات الأساسية شأناً عائلياً، وليس شأناً فردياً"[2]. وتجلى الاغتراب الفكري بوضوح في تمردها على الدين والمجتمع. وعلى هذا النحو، لا يمكن فهم الشخصية إلا إذا تعمقنا في عالمها الداخلي وحاولنا الكشف عما تخفيه في أغوارها. ولمّا كانت الشخصية الاشكالية المغتربة تبحث عن القيم الأصيلة في مجتمع متدهور كما ذكرنا سابقا ، فإنها تتسم بالإحباط من دون تحقيق رغبة ما وتعيش حالة التأزم النفسي من خلال اغترابها. ففي (متاهة العدم العظيم) يقدم الروائي العالم الباطني للشخصية الاشكالية المتمثل في أفكار ورؤى حول التيه في الحياة السوداوية من خلال وعيها الذاتي:

صمت للحظات.. نظر إليها بتمعن وسأل:

---

[1] الرواية، برهان شاوي، منشورات الضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص81.

[2] المصدر السابق، ص71.

- مم أنت غاضبة؟

شعرتْ بالاستياء من نفسها لإجابتها غير المهذبة وقالت :

-أنا غاضبة من نفسي..

- لماذا..؟

- لأني على الرغم من انغلاقي على نفسي وشعوري بالراحة بسبب ذلك، لكنـــي أيضا أحس بالحاجة إلى أن أفتح كل الأبواب المغلقة داخلي، وأراني كيف أبدو! أتدري يا أستاذ آدم، أحيانا كثيرة أشعر بأنني لست حرة أبدا في التحكم بذاتي، ابتسم ابتسامة ساخرة الآن، فمع ظهوري الواثق جدًا وثقتي بذاتي أحيانًا، من ناحية شكلي وأنـــاقتي وثقافتي، لكني أجلد نفسي دائما وأقول إنني "لا شيء". أحـــدّق أمـــامي فـــأرى هـــوّة شاسعة وواد بيني وبين واقعي بأكمله، كثيرًا ما تنتابني حالة لا مبالاة تجاه أي شيء، فلتمض الأمور كيفما شاءت، وكأنها لا تعنيني، بما في ذلك شؤون الزوج والأطفـــال، فكأنني أترك كل شيء خلفي وأمضي، بل أحيانا أُلازم الفراش وأنام طويلا، ولا أرغب بفعل أي شيء، وأفقد الرغبة في أي شيء حتى الأشياء التي أحبهـــا، أحـــس بـــأنني مرهقة ومتعبة من الداخل، أحتاج لتغيير يهزني، يقلعني من أعمـــاقي ليعيـــد جـــذوة الحياة والفرح في نفسي"[1]. حين نستدلّ بهذا النص، ونستقرئ الشخصية الإشـــكالية المغتربة التي تعاني الوحدة والعزلة عن القيم الإنسانية في مجتمعها، نلمس وعيهـــا الذاتي من خلال رؤيتها للأشياء والعالم لاسيما عندما تبحث عن وجودها في الـــداخل قبل الخارج. تبدو الشخصية مغتربة ومتشتتة، فعوض أن تبحث عن السمات الايجابية لديها، اشتغلت بالبحث عن ذاتها الضائعة تحت سطوة الذاكرة (أحيانا كثيـــرة أشـــعر بأنني لست حرة أبدا في التحكم بذاتي). وبين البوح الذاتي والوصف الإخباري نلمس الألفاظ الدالة على هواجسها التواقة إلى الحرية، نجدها على النحـــو الآتـــي: (أحـــس بالحاجة إلى أن أفتح كل الأبواب المغلقة داخلي، أحتاج لتغيير يهزني، يقلعنـــي مـــن أعماقي ليعيد جذوة الحياة والفرح في نفسي). هـــذه التـــداعيات فـــي الأفكـــار تعـــد مدلولات، تحمل رؤيا، تحيل على التحرر من كل شيء، بعد وصولها لدرجة اغترابيـــة

[1] الرواية، برهان شاوي، دار ميزوبوتاميا، بغداد- العراق، ط1، 2019، ص241-242.

عالية جدا من فهم انعدام المغزى في الحياة. لـذا تهـرب الشخصـية إلـى عالمهـا الداخلي، فتتعمّقه (كثيرًا ما تنتابني حالة لا مبالاة تجاه أي شـيء، فلـتمض الأمـور كيفما شاءت، وكأنها لا تعنيني)، فإنها تستعير من حاضرها وتجد عزاءهـا النفسـي في المستقبل المجهول كونه يحمل سمات التماثل مع الذات من حيـث كونـهُ الخيـارَ الوحيد.

وعلى هذا النحو، تحوّلت الشخصية في المتاهات من كونها باحثة عـن الحيـاة وفاعلة فيها لتحوّل مسارها فتصبح متشيئة بين الذات الإنسانية والواقع، وهنا تنهـار كل القضايا الأخرى السياسية والاجتماعية أمام هذه الشخصية الإشكالية التائهة فـي وعيها ومعاناتها في بحثهـا عـن ذاتهـا وسـط عـالم تغلفـه العـادات والتقاليـد والازدواجيات، وتسقط في ضياع المتاهة عند محاولتها لفهم كينونتها وتتراوح بـين الهامش والمركز، فترصد التحولات الاجتماعية في حاضرها وتصطدم بالقيم الإنسانية المشيأة لتعيش اغترابها عن ذاتها وعن وعيها مرة أخرى.

المحور الثاني/ مستويات الوعي

يتدخل الوعي في بناء العالم الروائي في النصف الثاني من القرن العشرين مـن خلال حضوره حضورًا كبيرًا عند الشخصية التي يجسد الروائي من خلالهـا رؤيـاه للعالم. ولكن قبل الحديث عن ذلك لا بدّ لنا في البدء من أن نقف على مفهوم الـوعي في التعريف اللغوي والاصطلاحي. إذ يُعرَّفه ابن منظور على أنه "حِفْظ القلبِ الشـيء والحديث يَعِيه وَعْياً وأَوْعاه: حَفِظَه وفَهِمَه وقَبِلَه، فهو واع، وفلان أَوْعَى مـن فـلان أَي أَحْفَظُ وأَفْهَمُ. وفي الحديث: نَضَّر الله امرأ سمع مَقالَتي فوَعاها، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعـى من سامعٍ"[1]. بمعنى إن الوعي في دلالته اللغوية يشير إلى الحفظ والفهم التي تحيـل إلى عملية القبول أو الاستيعاب التي تشكل فيما بعد مسـتوى الـوعي لـدى الـذات الإنسانية.

أما المعنى الاصطلاحي للوعي، فإننا نجد أنه لا يبتعد كثيراً عن دلالته اللغويـة، ذلك أن الوعي يرتبط بجوهر الإنسان وخاصية إدراكه التي تميزه عن باقي الكائنـات

[1] المصدر السابق، ص 245.

الأخرى. لذا سنكون بحاجة إلى تلخيص فلسفي لمصطلح الوعي، هذا التلخيص يضعنا على طريق تحديد مستويات الوعي لدى الشخصية الإشكالية في المتاهات. وبِمـا أنَّ الشخصية تفهم على أنها الصورة المتكاملة للفرد المكونة من الطابع الإشكالي الـذي ينتج نتيجة الصراع بين الأنا والآخر مما يضفي عليها حالة الانشطار؛ فيُعرَّف الوعي على أنه "جملة من التصورات والأفكار المتنوعة، التي تحصلها الذات بـذاتها وعـن العالم الخارجي، والذي يجعلها في اتصال دائم معه. إذن فالعلاقة الموجودة بين الذات والعالم، من الأجدر أن تكون محل فهم، وبالتالي تكون موضوع الفلسفة. لأن الـوعي دوماً يقدم نفسه في شكل مفاهيم وصور، والتي كلما زادت غوصًا في الأشـياء، زاد ابتعادها عن المحسوسات، واقتربت من المعقولات، لتنتقل إلى الخيـال والتصـورات اللامنطقية، وعندما تبلغ هذه المرحلة النهائية من مراحل المعرفة تخرج عـن ذاتهـا في عملية قلب، التي بها تتجلى كظاهريات"[1]. وإن ما يمكن استخلاصـه مـن هـذا التعريف هو أن الوعي يمثل التفاعل القائم بين الذات والموضوع بتجسيده الواقـع، إذ يقوم بالوظائف النفسية للإنسان من خلال مقوماته كالانفعالات والخيال والتفكير التـي تمثل هي الأخرى انعكاس للعالم الخارج في الدماغ، فالمبدأ الأساس للفهـم الجـدلي المادي هو "الاعتراف بوجود العالم الموضوعي المستقل عـن الـوعي البشـري"[2]. ويتّضح من ذلك أن المادة موجودة بشكل مستقل عن وعي الإنسان عنـد الفلاسـفة الماديين، وهم على نقيض من الفلاسفة المثاليين الذين يعتقـدون ان المـادة ليسـت موجودة بل هي انعكاس تصورات في وعي الإنسان، إذ أن الفكر المثالي يعتقـد بـ "أن الوعي سابق على الوجود"[3]. ويتبين لنا ذلك عند أفلاطون في تناوله الوعي من

---

[1] تاريخ الوعي- مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، مونيس بو خضرة، مؤسسـة محمد بن راشد آل مكتوم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنـان، منشـورات الاخـتلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص17.

[2] في المادية الدياليكتيكية والمادية التاريخية، بوغوسلافسكي وآخرون، ترجمة: خيري الضـامن، دار التقدم، موسكو، 1975، ص266.

[3] الوعي الجمالي في السرد القصصي، د. علياء الداية، دار الحوار للنشر والتوزيـع، اللاذقيـة- سورية، ط1، 2012، ص9.

خلال مصطلح الإدراك، فيقول" إننا إذا أدركنا شيئاً بقوة ما، فإنه يستحيل أن ندرك هذا الشيء نفسه بقوة أخرى... فأعضاء الحس لا يمكنها إدراك الخصائص المشتركة بين موضوعات الحس. والذي يدرك ذلك هو النفس العاقلة لا الحس"[1]. وهذه الفكرة الافلاطونية عن الإدراك تتطور عند (هيغل) وتتضح في الوعي الذاتي، إذ أننا من "مجرد الوعي المحسوس نتقدم إلى فهم الأشياء بوصفها موضوعات تحددها الخواص الشاملة. وهذا الفهم للأشياء بوصفه امتلاكاً للخواص العامة يسميه هيغل الإدراك"[2].

ومن جانب آخر، قام (كارل ماركس) بمزاوجة الفلسفة المادية مع الفلسفة المثالية، وطرح مذهبه الفلسفي المادية الجدلية أو الدياليكتيكية. واستناداً على فلسفة هيغل عرّف ماركس الوعي على أنه تلك الطبقة في البناء التي تتجلى فيها القيم والشؤون الإنسانية، ولا نستطيع إطلاقاً ان نتمثل الوعي في معزل عن الأوضاع الاجتماعية؛ لأن الكيان الاجتماعي هو الذي يحدد وعي الفرد في مجتمعه وليس العكس. وعلى هذا النحو يكون الوعي قابلاً للاختزال سببياً، ولكن غير قابل للاختزال انطولوجيا. إنه جزء من العالم العادي وليس شيئاً يوجد بالإضافة إليه[3]. أمَّا جورج لوكاش فهو يركز في كتابه (التاريخ والوعي الطبقي) على أن "طريق الوعي في التطور التاريخي، لا يستهل، بل هو على النقيض، يضل دائماً أكثر صعوبة ويتطلب دائماً مسؤولية أكبر"[4]. وانطلاقاً من هذا التصور يكون الوعي الطبقي عند غولدمان هو وعي نقدي يعكس الوعي الجمعي لطبقة ما قد يكون وعي قائم أو وعي ممكن

---

(1) الإدراك الحسي عند ابن سينا/ بحث في علم النفس عند العرب، د. محمد عثمان نجاتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2005، ص131.

(2) العقلانية/ فلسفة متجددة، جون كوتنغام، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، سورية، ط1، 1997، ص111.

(3) العقل واللغة والمجتمع/ الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم. المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، منشورات الاختلاف،. الجزائر، ط1، 2006، ص106–107.

(4) التاريخ والوعي الطبقي، جورج لوكاتش، ترجمة: د. حنّا الشاعر، دار الأندلس، بيروت– لبنان، ط2، 1982 ، ص32.

لأن "الواقع أن في لحظة، يكون عند أية فئة اجتماعية بالنسبة لمختلف المسائل التـــي تطرح عليها، وبالنسبة للحقائق التي تصادفها، وعي واقعي، حقيقي قائم، يمكن شرح بنيته ومضمونه بعدد كبير من عوامل ذات طبيعة متنوعة، كلها ســـاهمت، بـــدرجات مختلفة، في تكوين ذلك الوعي"[1]. فيعترف بأن الوعي من المصطلحات المستعصـــية على التحديد الدقيق لأنه أقرب لعلم الاجتماع والنفس، لذا يخصصه على أنه " مظهـــر معين لكل سلوك بشري يستتبع تقسيم العمل"[2]. وبما أن العالم الروائي يعد شكلاً من أشكال الوعي الطبقي؛ لأنه يعبر عن أزمة الشخصية الإشكالية التي عانـــت التشـــيؤ والاغتراب، يقدم لوكاتش نمطيةً للرواية تركز على " رصد وعي البطل الذي يســـتمد إشكاليته من عدم تلاؤمه مع العالم، ويتخذ عدم التلاؤم هذا شكلين : إمـــا أن يكـــون أوسع من العالم الخارجي المكوّن لمجال أفعاله أو أن يكون أضيق منه وفي الحالتين، هناك فشل للبطل أمام الواقع لأنه يظل مشدوداً إلى القيم "موطن الـــروح"، "الحقيقـــة" ولو من خلال صيغة غير مباشرة يسميها لوكاتش "الشيطانية" فـــي مقابـــل الصـــيغة الايجابية، المباشرة، المفقودة"[3]. وعلى هذا النحو، يتحول الوعي عند لوكاتش إلـــى عنصر فاعل في تكامل العالم الروائي، فهو يرى بأن "تصوير العمـــل هـــو الطريقـــة الوحيدة والممكنة لتجسيد العلاقة الحقيقية للإنسان بالمجتمع والطبيعـــة. ولا نقصـــد بهذه العلاقة وعي الإنسان فقط، بل الذات نفسها التي هي أساس هذا الـــوعي، مـــن حيث علاقتها الجدلية به؛ لأنَّ الإنسان لا يفصح عن جوهره الحقيقي إلا عندما يصبح فاعلاً مهماً كانت التصورات الخاطئة التي يقيمها مع هذا الموضوع في أعماق وعيه. ويقول ماركس في هذا الصدد: إنهـــم لا يعلمونـــه ولكـــنهم يعلمونـــه... إن الخيـــال الشاعري لدى الروائي يتخلص على وجه التحديد في ابتكار حكايا وموقف لإبراز هذا الجوهر لدى الإنسان. وفي العناصر النموذجية لذاتيته الاجتماعية، وهـــذا لا يـــتم إلا

---

[1] البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، لوسيان غولدمان وآخرون، ترجمة: محمـــد ســـبيلا، مؤسســـة الابحاث العربية، ط2، 1986، ص37.

[2] المصدر السابق، ص33.

[3] الشخصية الإشكالية/ مقاربة سوسيو ثقافية في خطاب أحلام مستغانمي الروائي، حميد عبدالوهاب البدراني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص13.

داخل العمل. ويستطيع كبار القصاصين خلق صورة عن مجتمعهم بفضل هذه الموهبة في الابتكار التي تفرض تفهماً عميقاً لمشاكل المجتمع"[1]. وكما هي الحال في المتاهات بصفتها حكاية لحياة الإنسان المهمّش في مجتمع تتحكم فيه الآلة، إذ أنها تصوغ معاناة الشخصيات المتمايزة والمدركة لمعنى إنسانيتها، فعندما تصطدم بواقع يحتاج إلى تفسير تعيش تمزقها وانقسامها على ذاتها. لذا تتعدد مستويات الوعي في المتاهات وتتداخل وتتشابك ويعسر فصلها إلا بقصد الدراسة، إذ تتعدد بحسب قضايا المجتمع لاسيما انها تجسد وتعبر عن معاناة الجماعات والأفراد فتتراوح بين الذات والواقع.

أولاً: الوعي القائم:

يجسد هذا الوعي الواقعي إدراك الجماعات والمجتمعات فضلًا على تعبيره عن معاناة الأفراد، إذ يتعدى وجوه هذا الوعي وتداخل وتتشابك ويعسر فصلها. فهو الوعي الفعلي الناجم عن الدور الذي يُؤديه أفراد المجتمع والمتعلق بـ "كل مجموعة اجتماعية تسعى إلى فهم الواقع انطلاقاً من ظروفها المعيشية والاقتصادية والفكرية والدينية"[2]. وبناء على هذا يستلهم واقع الأفراد والتي تعي معاناتها دون العمل على تجاوزها وتغيير حاضرها أو القدرة على مواجهتها، فيمثل وعياً آنياً سلبيًا، ومن ثُمَّ فإنَّ الوعي الواقعي "يرتبط بمشاكل الطبقة الاجتماعية ، وغالباً ما ينتهي هذا النوع من الوعي في ذهن جزء مهم من الجماعة إلى صورة وعي يهدف إلى تغيير وضعها القانوني والمعيشي الراهن، أو حتى الرغبة في الاندماج في وضع جديد ضمن مجموعة أخرى، وذلك حين يتبنى أفراد مجموعة، قيم مجموعة أخرى غير مجموعتهم قصد تحسين وضعهم.. وهو وعي متطور مبني أساساً على تفاعلات الطبقات الاجتماعية التي تمثل في هذا المستوى الواقعي : البنى التحتية لرؤية

---

[1] نظرية الرواية/ دراسة، جورج لوكاتش، ترجمة وتقديم: نزيه الشوقي، دار الحروف للطباعة والنشر والتوزيع،. سورية، ط2، 2012، ص34.

[2] في البنيوية التكوينية–دراسة في منهج لوسيان غولدمان، د. جمال شحيد، دار التكوين، ط1، 2013، ص55.

العالم"[1]. وكما ذكرنا سابقاً بأن الرواية تتميز بوصفها قصة بحث عن قيم أصيلة في مجتمع منحط، انحطاطاً يتجلى أساساً في الشخصية الإشكالية، فإننا هنـا " إزاء بنيـة معقدة بوجه خاص، وسيكون من الصعب أن نتخيل أنها قد ولدت ذات يوم من مجـرد ابتكار فردي دون أي أساس في الحياة الاجتماعية للجماعة"[2]. ونستنتج من ذلـك أن إدراك الفرد يكشف عن رؤية العالم عند الطبقة، وكل عمل أدبي يقابل وعـي فكـري لجماعة ما. وكلما فهمنا هذا التماثل فهماً صحيحاً متعمقـاً، تصـورنا العلاقـة بـين الروائي وعالمه من حيث هو صورة للواقع الاجتماعي، فيجسد رؤية العالم لطبقة مـا من خلال بنية فكرية للفرد الإشكالي والتي تكتسب طابعاً ضمنياً في العالم الروائي.

والحقيقة التي يجب أن تؤكد هنا هي أن الخطاب الروائي العربي "هو خطاب أخذ يتميّزُ بنسيج عالمه الخاص، أو بأساليب سرديةٍّ تنسج حكايـات عالمـه، لتتخصَّـص الشخصيّةُ في هذا العالم المتخيّل بهويتها الحياتيّة في الواقع والتّـاريخ، وبمنطوقهـا الدلاليّ، وبمعاناتها الفرديّة والمجتمعيّة، وبأحلامها الذّاتيّة والإنسـانيّة. وبهـذا كلّـه أخذت الحكاية تستوي في فضاء عالمٍ روائيّ متخيَّلٍ له منظورُه ومعناه، أي عالم لـه حكايتُه الخاصَّةُ وروائيّتُه العامّةُ"[3]. ومن هنا، فإن البنيوية التكوينيـة هـي "أصـلح منهج نقدي يمكنه أن يفسر ويحلل الأحداث والشخصيات الروائيـة فـي مثـل هـذه الأكوان التخييلية المنغلقة على ذاتها، والمنفتحة، في الوقت نفسه، على بعضها فـي آن. فالماضي يحاور المستقبل بشكل دائم ومستمر"[4]. فثمة، إذاً توافق وظيفي بـين العالم الروائي والبنيوية التكوينية، وهذا التوافق يخدم تحديد الوعي عند الشخصـية. ومن هذا المنطلق، قد صوّر الروائي في متاهاته الحالة المزاجية للشخصية الروائيـة

---

[1] العلوم الإنسانية والفلسفة، لوسيان غولدمان، ترجمة: د. يوسف الانطكـي، المجلـس الأعلـى للثقافة، 1996، ص126.

[2] المصدر السابق، ص21.

[3] فن الرواية العربية/ بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، د. يمنى العيد، دار الآداب، بيروت– لبنان، ط1، 1998، ص26–27.

[4] وعي العالم الروائي/ دراسات في الرواية المغربية، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1990، ص196.

من طبيعة هذا الوعي الفعلي الذي يُعد وسيلة لاكتشاف رؤية الجماعة، وبذلك يقول الراوي في (متاهة آدم): "اعتاد آدم البغدادي على هذه المشاهد التي صارت من يوميات مدينة بغداد، وجزءًا من حياة العراقيين! لا يدري لماذا فكّر لحظتها، وهو يرنو نحو جهة الانفجار، بعدد الأجساد التي يمكن أن يكون الانفجار قد مزّقها. يا لعبثية هذه الحياة، إذ صار العراقيون يتعاملون مع الأرقام، مع عدد الضحايا! فالانفجار الذي يخلف المئات أو حتى العشرات هو الذي صار يحظى باستنكار الحكومة والأحزاب، بينما الانفجار الذي يمكن أن يمزق اثنين أو ثلاثة أو ستة أو حتى عشرة أشخاص يمر دون أي استنكار أو انتباه من قبل الحكومة والأحزاب، ولا ينتبه له إلا أهل الضحايا. يا لعبث الحياة في العراق"[1]. نلحظ في النص المقتبس كيف قدّم الراوي العليم للقارئ التداخل بين الذات والمجتمع الواقعي الذي يمثل المجتمع العراقي من خلال وعي الشخصية لترسيخ الإيهام بالواقع، لأن الرواية تسعى هنا إلى ترميز هذا الواقع الذي يلتصق بوعي الشخصية. وبمعنى آخر لمسنا، من خلال توضيح البعد التاريخي افي طار مبدأ الاستمرارية التي تعمل على إعادة التواصل بين الماضي والحاضر. إذ ان الوعي الفكري في النص لا ينفصل عن الواقع الاجتماعي بل العكس يتكئ عليه في بناء مرجعيات عالم الرواية من جهة، وصياغة مفهوم الوعي القائم من جهة أخرى. كما أن المثال يدل على أن الشخصيات تشترك في نفس الوعي- عدا الجهة السياسية كما يتجلى بشكل خاص في وعيهم السياسي (فالانفجار الذي يخلف المئات أو حتى العشرات هو الذي صار يحظى باستنكار الحكومة والأحزاب، بينما الانفجار الذي يمكن أن يمزق اثنين أو ثلاثة أو ستة أو حتى عشرة أشخاص يمر دون أي استنكار أو انتباه من قبل الحكومة والأحزاب). الذي يشير إلى الوعي المضاد لدى الطبقة أو الشخصيات السلطوية. والملاحظة الأخرى من خلال النص أعلاه هي حول التلاؤم بين زمن القص والزمن الواقعي، والذي يشير إلى سيطرة الراوي الخارجي على الأحداث، فاختزل وعي الشخصية السلبي من دون التفصيل في وصفه. ويتكرر هذا التداخل بين الذات والواقع لطرح

---

[1] الرواية، ص7.

الواقعية النفسية للشخصية من خلال وعيها القائم في (متاهة الأشباح) عندما يتحـول النص من سيطرة الراوي إلى سيطرة وعي الشخصية الذي ينبع من الوصف الداخلي :

-أنا إنسان مقنّع. ولكثرة أقنعتي صرت لا أعرف أين وجهي وأين قنـاعي! أقنعتـي جميعها هي جزء مني، هي شكلي الخارجي، هي الوجوه المتعددة لشخصيتي، لكنهـا ليست ذاتي، بالرغم من أنها ليست غريبة عن ذاتي أيضًا. هل أنا لستُ أنا؟ طبعًـا لا، فأنا أنا، فوجهي هو أنا، وقناعي هو أنا أيضًا. وهذا الأمـر لا أعتقـد يخصـني أنـا وحدي، وإنما يخص كل الناس، بل هو جزء من مهزلة الوضع البشري.

أحيانًا أفكر في أن الحياة لعبة كبيرة، ومملة، وأن الإنسان كائن وحيـد، مسـكين، وهش، كائن ضعيف يخاف من العزلة، وأن حياته لا تعني أي شـيء حينمـا يكـون وحده، بل إن كل القيم الاجتماعية والقوانين لا تعني شيئًا حينما يكون الإنسان وحده، وأن أقنعتنا ما هي إلا وسيلة لتقارب بعضنا من بعض، لأن الوجه الحقيقي لذات كـل منا مخيف، بحيث ليس كل منا يمتلك القوة كي ينظر إلـى وجهـه الحقيقـي، وإلـى ذاته.[1]. إن التمعن في المثال المطروح للجملة الوصفية وللصوت المتـداخل الـذي يأتي من وعي الشخصية وليس من الراوي تثير انتباه القارئ. ففي النص يتم الدخول إلى وعي الشخصية الموصوفة بعد إنذار خفي بانشطار الذات من خلال جملة (ولكثرة أقنعتي صرت لا أعرف أين وجهي وأين قناعي!). حيث إن الشخصية تعـاني الغربـة وتشعر بالوحدة داخل واقعها المرير، ويتضح وعيها القائم في تحسرها بشـكل جلـيّ عند بحثها عن ذاتها لتكتشف فيما بعد بأن وعيها السلبي هو وعي الطبقة التي تعيش في غربة دائمة (وهذا الأمر لا أعتقد يخصني أنا وحدي، وإنما يخص كل الناس، بـل هو جزء من مهزلة الوضع البشري). فقد حاول الروائي، من خلال أحـداث الروايـة وشخصياتها، أن يعكس وعي المجتمع العراقي الذي يظل يسيطر على وعي الفرد ولا يتيح له متنفساً؛ لأنه يحدد له تصرفه في كل أمر، إذ ان النص يعني بالكشـف عـن

[1] الرواية، ص242.

حقيقة الإنسان في المجتمع المضمون الرئيس الذي تحاول الرواية طرحه من خلال وعي شخصياتها.

يتضح مما تقدم أن نصوص المتاهات قد كشفت عن الهواجس التي تؤرق الشخصية الروائية على الصعيدين الشخصي أو العام، فلا يكاد يخلو نص من طرح وعي الشخصية كالحديث عن عوالمها الداخلية وصراعاتها مع المجتمع بوصفها جزءا منه. وأثر هذا الصراع على الوعي الذاتي للشخصية الإشكالية في (متاهة العميان) بأبعادها النفسية والفكرية والاجتماعية، لتعيش تجربة الذات بكل تفاصيلها وتناقضاتها في علاقتها مع واقعها: "..أتدري.. مضى عليّ أكثر من ربع قرن في دمشق.. جئتها شابًا.. الإنسان لا يشعر أنه تقدم في السن إلا حينما يرى، بعد سنوات، الذين كانوا بالنسبة إليه مثالًا للجمال والأناقة.. أو ينتبه لذلك حينما يبدأ الجسد وقواه لا تطاوع إرادة الشخص.. فأنا أحس بتعب شديد وكأني أحمل أغلالًا، بينما عملي ليس مرهقًا، لا جسديًا ولا نفسيًا، لكني برغم ذلك أحس بتعب شديد. ...كل شيء سينقضي.. وكل نشوة لا تدوم.. ولا يبقى سوى الضجر.. الضجر حتى بالاستمرار في العيش.. الملاذ هو النوم أو النسيان.. والقيام بتكرار الواجبات التافهة.. أنا أحيانًا أكره نفسي.. أحتقرها.. أقلل من شأنها.. وهذا ما يبعث الراحة في نفسي.. وأعتقد أن إذلال النفس أفضل من تأنيب الضمير"[1]. نجد في المثال السابق أن الشخصية في وصف حالتها النفسية انتقلت بين السرد الخارجي والداخلي في النص، والزمن يتحول من الحاضر إلى الماضي للملاءمة بين زمن الحدث وزمن القص وليعكس الإحساس بالاستمرارية عند مقارنة ماضي الشخصية وحاضرها. فتقدم ماضيها وما جرى لها وما انتهت إليه (أنا أحيانًا أكره نفسي.. أحتقرها.. أقلل من شأنها). إذ يتراوح الوعي القائم للشخصية بين الماضي والحاضر، وبين الحياة والموت، لينتج هذا الوعي الفعلي شخصية هزيلة تتلقى مصيراً مأساوياً يتجلى في تمردها على نفسها. ومن دون أن يشير الراوي إلى ذلك يدرك القارئ سلبية وعي

---

[1] الرواية، برهان شاوي، منشورات الضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016، ص17-19.

الشخصية، والذي يتضح في أبعادها الفكرية وحالتها النفسية من جهـة، وابعادهـا الاجتماعية التي تطغى في الممارسات اليومية وفي علاقتها مع المجتمع مـن جهـة أُخرى. لذا يضعنا الروائي في النص السابق أمـام مسـتويين مـن الـوعي القـائم والمتمثلة بالوعي الذاتي الخاص والوعي الاجتماعي العام للمجتمع بأسره. ونسـتنتج أنّ أيّ وعي قائم ذاتي، اجتماعيّ في الرواية، ما هو في معالمه إلّا نتـاج صـراعات بين الذات والواقع الذي يخضع الافراد ويقيد ذواتهم. ولأن " لغة الوعي في الروايـة تختلف عن لغة السرد الخارجي، لأنها تتعامل مع منطقة متميزة. وهذا التميز يسـتمد مقوماته من مادة الوعي نفسها، فمادة الوعي تتكون من تفاصيل ترتبط بالشخصـية ارتباطاً وثيقاً، بحيث تتحول هذه المادة إلى عنصر خاص لا يعني شيئاً إذا ما تعاملنـا معه بعيدا عنها- الشخصية. كما يستمد هذا التميز مقوماته من تعامله مع منطقـة لا يحكمها المنطق الظاهري العام. ومن هذا المنطلق، فإن الكلمات المنبثقة من الـوعي تعجز في التعبير عن خصوصيته، وعندئذ تتحول الكلمات ذات المعنى الحرفـي إلـى رموز تتخطى الدلالة الحرفية إلى الدلالة الرمزية"[1]. وإذا استعنّا بالأمثلـة لتوضـيح هذه الميزة وجدنا مثلاً أن الشخصية الإشكالية في (متاهة العـدم العظـيم) لـم تُـبن بالطريقة التقليدية، بل تنضاف إليها وعي ذاتي لتكوين عالمها:

نظر إليها متأملًا لثوان ثم ابتسم قائلا: ما بك حوّاء، وكأنك خائفـة مـن مواصـلة المواجهة مع نفسك، إنك تخافين الحرية وتهربين منها بالقوة نفسها التي تريدين فيها أن تتحرري!

نظرت إليه بارتباك وخجلت من ملاحظته التي كانت دقيقة جدًا في وصف ما يجري في أعماقها من صراع، وقالت: ربما، لا أدري.. ثمة ضجيج وأصوات فـي داخلـي! فوضى غير واضحة الملامح، مثل قرية هجم عليها الأعداء في الليل وحرقوا منازلها الخشبية وخيامها فعمت الفوضى لدى سكانها المرعوبين الذين لا يعرفون مـا الـذي

---

[1] تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة/ دراسة أسلوبية، محمود غنايم، دار الجيل، بيروت، دار الهدى، القاهرة، ط2، 1993، ص140.

جرى، هكذا أنا، أحس وكأني استيقظت على كابوس ! علي مواجهة ذلك لكنني خائفة[1].

نلاحظ هنا حواراً يمتزج فيه وعي الشخصية مع سرد الراوي، ونلتمس ذلك في تعاملها مع المجتمع من منطلقها الداخلي، وفي خروجها عن الطور الاجتماعي من خلال رؤيتها الداخلية السّوداويّة. فهذه الرؤية التي تطغى على الشخصية الإشكالية ناجمة عن تعامل الذات والمجتمع بشكل عام، إذ ان الشخصية فقدت إيمانها بالمجتمع مسببي الفوضى في عالمها. تتّسم شخصيتها بالتشتت المتأتية من الوعي السلبي بالأشياء، إذ تنقطع رغبتها في التحرر، وتفضّل عدم الخروج من متاهتها، وكأنّها تعرف إلى أين ستذهب الأمور خارج حدود القيم الاجتماعيّة والأخلاقيّة. فالشخصية في النص تحفي في داخلها أكثر من ذات ناتجة عن صراع الذات والمجتمع، وعبثيّة الوضع البشري في مواجهة ذواته للمتغيرات المتعارضة والمتناقضة. فتعيش الشخصية حالة الضياع في وعيها النّفسيّ المغترب .

ثانياً: الوعي الممكن:

إنه الوعي الإشكالي المواجه للوعي الواقعي المنطلق من ممارسات طبقة اجتماعية للحياة اليومية ممارسة متميزة بشكل عام. لأنَّه "الحد الأعلى من التلاؤم الذي يمكن أن تدركه الجماعة بدون أن تغير طبيعتها"[2]. باعتبار ان وعيها لا يتغير وان تعرضت لمتغيرات مختلفة إلا انها تبقى متعصبة لطابعها الطبقي. وما يميز هذا الوعي إنه يستند على الوعي القائم الفعلي ويتجاوزه في الوقت ذاته لأنه وعي شمولي، فالعلاقة القائمة بينهما هي علاقة الجزء بالكل. ومن الضروري أن نفصل الوعي الممكن لطبقة ما عن وعيها الواقعي الذي هو "وعي قائم في الواقع، وعي بالحاضر، أما الوعي الممكن فهو وعي مستقبلي وهو ما يمكن أن تفعله هذه الطبقة الاجتماعية لتغيير هذا الحاضر وتطويره، إذن الوعي الممكن ينشأ من الوعي القائم ولكن يتجاوزه، فالوعي بالحاضر يولد وعيّا نقديّا بإمكانية تغييره للوصول إلى أعلى

---

[1] الرواية، ص290.

[2] المصدر السابق، ص37.

درجة من التوازن المفقود في هذا الحاضر"[1]. ويمكن القول بأن الوعي الواقعي هـو نتيجة لمجموعة متعددة من العوائق والانحرافات التي تفرض على تحقيـق الـوعي الممكن الذي هو رؤية للعالم. إذ يرى (غولدمان) بأن " الطبقات الاجتماعية هي التـي تكون البنيات التحتية في الواقع–الرؤية إلى العالم أو العالم الخارجي_ ويمكـن للحـد الأقصى من الوعي الممكن، لطبقة اجتماعية ذات رؤية سيكولوجية منسـجمة للعـالم الخارجي أن تعبر على المستوى البيئي والأدبي والفلسفي والفني للمظاهر والظـواهر الطبيعية وغير الطبيعية في المحيط الذي يعيش فيه"[2].

وفضلاً على ما سبق، يحتل الروائي في عالم شخصياته مكانة تخولـه أن يشـكل وعيها الممكن كأقصى ما يمكن أن يصل إليه الوعي في تجسيد همومها وتطلعاتهـا. وعلى هذا النحو، يكون الوعي الممكن هو رؤيا حياتية مسـتقبلية، إذ أنهـا تعـانق الأزمة الحضارية والصراعات الاجتماعية المأساوية متسلحة بوعي تاريخي ذي بنيـة تفاؤلية تتجاوز الواقع إلى البديل الممكن[3]. ولعل في نتـاج برهـان شـاوي فـي متاهاته، خير مثال على إيجابية هذا الوعي الاشكالي وسلبياته. إذ انها سلسلة روائية إشكالية على مستوى الشكل، ومواجهة على مستوى المضمون من حيث انها تـدور حول أزمة الفرد الذي يتوق إلى تجاوز واقعه السلبي لعالم أفضل، فتجسد وعيه الحاد بالأزمة الذي هو وعي الطبقة أو الجماعة. فقد قدم الروائي في متاهاته الكثيـر مـن المضامين التي أدت دورها في الكشف عن الوعي الممكـن للشخصـية الإشـكالية، وحرص على لغة الحوار التي تعد أهم أداة للتعبير عن الذات. وهذا يتجسد في (متاهة الأشباح) التي تحمل أبعاداً فردية وجماعية، فتعكس وعياً إيجابياً مغايرا يعمـل علـى إعادة صياغة الواقع :

---

[1] الوعي السردي في أدب غادة السمان / مقاربة تكوينية لرواية بيـروت 75، فيـروز الصـادق زوزو، دار عقل للنشر والدراسات والترجمة، ط1، 2017، ص135.

[2] الرواية والإيديولوجيا في الأدب العربي المعاصر، سعيد علوش، دار المنهل، بيروت– لبنان، ط2، 2009، ص107.

[3] المصدر السابق،ص169.

-لا أريد أن أبرر لك هذا الانتقال، لكنني محبط ويائس، وربما هذا سيدفعك إلى تكوين رأي سابق عني، بيد أني لست محبطًا ويائسًا فحسب، وإنما أنا إنسان مليء بالمرارة. تلك المرارة التي لم يستطع المال ولا النساء ولا الوجاهة الاجتماعية والعلاقات أن تخفف منها. صحيح أنا يائس، إلا أن يأسي ليس ذلك اليأس الذي يصيب الروح بالشلل، وإنما على العكس من ذلك، أنا يائس يأسًا يمنحني الوضوح، ذلك الوضوح الذي يدفع إلى الشعور بالتعالي على المغريات وعدم الانجرار وراء أوهام الحرية، إنه اليأس المضيء[1].

الوعي الممكن الذي يتجلى من هذا المثال هو نتيجة تعدد دلالات الرمز المعبرة عن موقف الشخصية الإشكالية التي تحمل هموم العالم، ولكنه لا يشارك في محوها، لأنه إن فعل ذلك فقد تجاوز موقفه كإشكالي. لأن الرواية تقدّم من خلال الحالة النفسية للشخصية هي اليأس، وبالرغم من سيطرة هذه الحالة على الشخصية التي يتلقاها القارئ على شكل إشارات سريعة من الوعي: (بيد أني لست محبطًا ويائسًا فحسب، وإنما أنا إنسان مليء بالمرارة) يجعله يحس بذلك اليأس الذي يمس نفس الشخصية. ولا شك أن الجملة القصيرة :(أنا يائس يأسًا يمنحني الوضوح) ترد كاستجابة للخصوصية التي تميز الوعي الممكن في أوليته وهو في طور التكوّن، ويرد هذا الوصف كتمثيل للواقع، إذ أنه يسعى إلى تصوير مادة الوعي ويعكسها وهي في طور ما قبل الكلام عن الحالة النفسية التي تسيطر على الشخصية حين تعيش اغترابها عن مجتمعها. لذا فإن الحديث عن الوعي الممكن يستدعي أكثر من طرح، لازدواجية المصطلح بحكم تفاعل الوعي الإشكالي ورؤية العالم مع بعضهما البعض في تكوين العالم الروائي. نفهم، بناء على هذا التصور أنّ هذا الوعي ذو طابع إشكالي، إذ يعكس بالضرورة مشكلات الشخصية وطرق المعالجة. وكذلك في (متاهة إبليس) نجد إن هذه الرواية اعتمدت كثيراً في بنائها على الحوار، كما أن الروائي أراد أن يرسم لنا شخصياته عن طريق العلاقة الوثيقة بين الوعي القائم والوعي

[1] الرواية، ص 241.

الممكن، فقد اعتمد على هذه العلاقة في رسـمه وتحريكـه وتطـويره لشخصـياته الحوارية :

-لكن نظرة الآخر هي التي تشكل قيمتنا؟

-قيمتنا كمخلوقات بشرية فردية، لا تحددها نظرة الآخرين لنا يا حواء.

...-إذًا، ما الذي يحدد قيمتنا؟ هل هو ما نملك من مال؟ أم ما نمارسه من عمـل؟ أم ما نحتله من موقع وظيفي؟ أم انتماء لطبقة أو عائلة أو عشيرة معروفة؟ أم تراه مـا نكون عليه من هيئة وجمال وشكل؟

-...قيمتنا بأن نكون بشرًا، هي ألّا نؤذي الآخرين، ألّا نفعل الشر. ليس بالضرورة أن نفعل الخير، وإنما ألّا نفعل الشر؛ فعدم قيامنا بما هو مؤذٍ للآخرين وللأشـياء حولنـا من حيوانات ونباتات، هو بحد ذاته خير. علينا أن نكون مسالمين، وأن يكون سلوكنا حرًّا، ألّا نكبت مشاعرنا ما دمنا لا نؤذي أحدًا [1].

يفصح النصّ عن بعض أشكال الصراع الدائر داخل المجتمع بين الواقـع والـذات المنقسمة على أكثر من صعيد في تعارضها للواقع ونمط تفكيرهـا وطريقـة النظـر للأشياء والحكم على قيمتها في المجتمع، حيث إنها تُشكّل "موقفا تصـادميا موازيـا للموقف الذي يليها، أيّ موقفا تصادميا مع الموقف الخارجي مجسدة الخيبة الداخليـة وفقدان الانسجام وطغيان اللاتوافق الفكري والاجتماعي"[2]. وهذا يتجلى فـي الـنص (لكن نظرة الآخر هي التي تشكل قيمتنا). فتجدر الإشارة إلى أنه تم استحضار الوعي الممكن في المثال السابق كرمز لأيديولوجية الشخصـية الإشـكالية المتـرددة بـين عالمها الذاتي والواقع، وبين وعيها الآني والمستقبلي.

وفي (متاهة العميان) إشارات إلى هذا الوعي الممكـن، إذ إنهـا تتشـابه مـع المتاهات الأخرى، وهذا التشابه ينعكس من خلال وعي شخصـياتها، فمـثلاً نلاحـظ

---

[1] الرواية، 290.

[2] الرواية المغاربية/ الجدلية التاريخية والواقع المعيش، منشورات المؤسسـة الوطنيـة للاتصـال والإشهار، إبراهيم عباس، 2002، ص65.

حوارا بين شخصيتين في المثال التالي، إذ تبدأ الشخصية الهامشية حديثها إلى الشخصية الإشكالية قائلة :

صمتت لثوان، وقالت بصوت منكسر وحزين:

-أحسّ أنّني تائهة..

نظر إليها للحظات.. تأمّلها.. فأحسّ بشفقة غامضة لم يعرف من أين نبعت في نفسه، فقال لها:

-كلّنا تائهون.. بل إنّ التّائه الحقيقي هو ذلك الإنسان الذي يظنّ أنّه غير تائه.. لأنّ الإنسان حينما يعي وجوده، يدرك معنى التّيه أيضًا.. لكنّه من جانب آخر، حين يعرف الإنسان معنى التّيه، فهو لا يتيه..

كانت منتبهة لكلماته، نظرت إليه بحيرة، وقالت:

-أنا لا أفهم شيئًا ممّا تقول.. كلامك غامض.. أنت لا توضح وإنما تزيدني تيهًا..

ارتسمت ابتسامة حزينة على وجهه.. أسبل جفنيه قليلًا.. صمت لثوان، ثم رفع رأسه إليها، وقال:

-أنت تائهة.. وأنا تائه.. كلّنا تائهون ..آدم أبو التّنك تائه أيضًا.. بل حتى الطّفل الرّضيع هابيل هو تائه معنا.. وكلّ الذين ترينهم في الشّارع أو المحلات والمقاهي.. كلّ هؤلاء تائهون.. فنحن كلّنا تائهون في هذه الحياة. .نحاول أن ننسى هذا الأمر من خلال الانغماس في لعبة الحياة.. لكن هذا لا يلغي حقيقة أنّنا تائهون..![1].

أن الشخصية هنا تعي ذاتها من خلال عزلتها التي تعيشها وسط مجتمعها، ولا يمكنها التغلب على هذا الشعور عندما تتأمل عالمها الباطني، لذا يتشكل وعيها القائم نتيجة العجز وعدم القدرة على تحرر ذاتها من شعور التيه على الرغم من أنها محاطة بالآخرين. أما الشخصية الإشكالية على العكس من ذلك، لأنها تسعى أن تواجه واقعها من خلال وعيها الممكن الذي يحررها مما يجعلها تعد التيه حالة من حالات الشعور بذاتها.

---

[1] الرواية، برهان شاوي، دار ميزوبوتاميا، بغداد- العراق، ط1، 2016، ص55-56.

ونلخص ما طرحنا في المثال السابق بأن الشخصية الإشكالية تلخص فكـرة الوجـود عندما تستدرج أحداث المستقبل: (حين يعرف الإنسان معنى التّيـه، فهـو لا يتيـه)، فيصبح وعيها الممكن هو المؤسس لـ الأنا الفردية والجمعية في الآن ذاته :(فـنحن كلّنا تائهون في هذه الحياة). لذا تدرك الشخصية حقيقتها على المسـتوى الوجـودي عندما تتصارع باطنها وعقلها، فيولد لديها في كل لحظة وعي جديد يمثـل انعكـاس لحالتها النفسية التي تتوق لفهم أغوارها واستيعابها لمتاهة حياتها.

كما يحضر الوعي الممكن في (متاهة الأنبياء) من خلال الوعي الذّاتي الذي تنطلق منه الشخصية في بناء عالمها، فكان لهـذا الـوعي دوراً بـارزاً فـي بيـان البعـد الايديولوجي للشخصية الإشكالية. وإمعاناً في التوضيح ننظـر فـي الحـوار التـالي للشخصية التي تؤكد أن:

-الصداقة اختيار، أما الحب فقدر.

صعقتها جملته، أحسّت أنه كشف لها عما يجول من مشاعر غامضة في أعماقها، بل هو كشف الغطاء عما يدور بينهما. كانت هذه الجملة قد هزتها بقوة، وأدركت وكأنها رسالة غيبية موجهة إليها، وسمعته يواصل:

-نحن نختار الأصدقاء بإرادتنا، بينما الحب يختارنا لا إراديًّا، لكننا البشـر عميـان، كائنات غيورة بشكل ملتبس ومثير للحزن. لا نلمس الخـيط الرفيـع بـين الصـداقة والحب، فنسمي الصداقة حبًّا، فلا نرى أمامنا سوى المتاهة، متاهة الغيرة ودروبهـا الخانقة !

نظرت إليه وفي عينها مشاعر إعجاب ورددت جملته :

-لا نلمس الخيط الرفيع بين الصداقة والحب، فنسمي الصداقة حبًّا، نعم، لقد كشـفت لي شيئًا مهمًّا.

-الحب الحقيقي حين ينضج يتحول إلى صداقة عميقة، صداقة قدرية، كالنبيذ المعتـق كلما مرّ عليه الزمن ترقرق وجاد أكثر. أما الحب المزيف فإنـه يتلاشـى أمـام نـار

الوقت، وأعتقد أيضًا أن الصداقة الحقيقية تتحول إلى حب هادئ بمرور الزمن، الصداقة الحقيقية حب غير أناني، حب بعيد عن التملك![1].

لو تفحّصنا الوعي الذاتي للشخصية، لوجدناه نابع من رؤيتها للعالم، أما الوعي الممكن فنجده في بعدها الايديولوجي وحوارها، إذ يرصد القارئ في النص الكثير من الإشارات التي لها دلالات ورموز معبّرة تساعد في تشكيل الوعي: (الحب الحقيقي حين ينضج يتحول إلى صداقة عميقة)، والدلالات هنا ذات مستويات متعددة لأن إشكالية الشخصية متأتية من عدم فهم المجتمع للعلاقات القائمة بين الأفراد. ففي الوقت نفسه لا تقطع الذات صلاتها بالآخر، ولا تنحاز إلى أحد الطرفين الصداقة أم الحب: (وأعتقد أيضًا أن الصداقة الحقيقية تتحول إلى حب هادئ بمرور الزمن)، ولا شك أن من أهم الأسباب أيضاً لإشكاليتها جدلية العلاقة بين الذات والآخر، إذ أنها تجسد الفكر الاجتماعي سلوكاً وانتماءً من خلال موقفها الذي أسس لهذا الوعي

References in English.

1. **A -Analysis of the Narrative Discourse** ,Malik Murtad-Abd al **-Complex Semiotic Deconstruction Treatment of the Novel (Al** .University Press, Algeria, 1995, p. 127 , **(Madaq Alley**
2. **Dictionary of Contemporary Arabic** ,rar OmaAhmed Mukht Egypt, 1st edition, 2008, p. -Kutub, Cairo -Dar Alam Al , **Language** .1602
3. **The Philosophy of Alienation / A ,** Youssef-Ali Muhammad al The , **Systematic Critical Reading in the Philosophy of Alienation** opedias. Beirut. Lebanon, 1st edition, 2013, Arab House for Encycl .p. 9
4. **Farjieh, Alienation in the Literature of Halim** Bassam Khalil Six Days Novel, Fosoul Magazine, No. 1, Volume 4, , **Barakat** . Cairo, 1983, p. 209
5. htif Ik-Difaf Publications, Beirut, Al-Al , **Rawaya** -Burhan Shawi Al .19-Publications, Algeria, 1st edition, 2016, pp. 17

[1] الرواية، ص63.

6. Dar Baghdadi for Printing and , **Rawaya-Shawi Al** Burhan .Iraq, 1st edition, 2020, p. 120-Publishing, Baghdad
7. **Text, Power and Society / Political Values** ,Ammar Ali Hassan .Dr and Sharqiyyat for Publishing Dar , **in the Arabic Novel** .Distribution, Cairo, 1st edition, 2007, p. 55
8. **the Personality in the Literature of Jabra** ,Fatima Badr .Dr General House of Cultural Affairs, , **Ibrahim Jabra, the Novelist** .20-n, 2012, pp. 15Iraq, 1st editio -Baghdad
9. **Alienation in Arab Culture / Human ,** im BarakatDr. Hal Center for Arab Unity , **Labyrinths between Dream and Reality** .38-n, 1st Edition, 2006, pp. 35Lebano -Studies, Beirut
10. Dar , **ah, Aesthetic Consciousness in StorytellingDay-** Dr.. Alia Al Syria, 1st -and Distribution, Lattakia Hiwar for Publishing-Al .Edition, 2012, p.9
11. **The Theory of the Novel and the Arabic Novel ,** Dr.. Faisal Darraj Azna for Publishing and Distribution, Amman, 2nd edition, 2018, , .p. 10, 14
12. **dy of A Stu -in Generative Structuralism** Dr.. Jamal Shaheed Takwin, 1st edition, 2013, p. -Dar Al , **Lucien Goldman's Approach** .55
13. **Perceptual perception of Ibn** Dr.. Muhammad Othman Necati University Publications, , **Research in Arab Psychology / Sina** .Algeria, 3rd edition, 2005, p. 131
14. **l Underdevelopment / An Socia ,Hegazy** Dr.. Mustafa Arab , **Introduction to the Psychology of the Oppressed Man** . p. 199 ,Morocco, 9th edition, 2005 -Cultural Center, Casablanca
15. **The Art of the Arabic Novel / Between the ,** Eid-Dr.. Yumna Al -Dar Al , **of Discourse ionSpecificity of the Story and the Distinct** .27-Lebanon, 1st edition, 1998, pp. 26 -Adab, Beirut
16. **the novelist and his hero / approaching the ,** George Tarabishi Lebanon, 1st -Adab, Beirut -Dar Al , **unconscious in the novel** .edition, 1995, p.8

17. **he Problematic Personality / T ,** Badrani-Wahhab al-Hamid Abd al **Cultural Approach in the Discourse of Ahlam -A Socio** the Novelist, Dar Majdalawi for Publishing and , **Mosteghanemi** .t edition, 2013, p. 13Distribution, 1s
18. **-The Structure of the Narrative Form / Space** ,Hassan Bahrawy Morocco, -Arab Cultural Center, Casablanca , **onalityPers -Time** .nd edition, 2009, p. 2092
19. **Philosophy of Criticism and Criticism** ,Hassan Hanafi and others ,Arab Unity Studies , **of Philosophy in Arab and Western Thought** .56-Lebanon, 1st edition, 2005, pp. 55 -Beirut
20. **orical Dialectic and The Maghreb Novel/ Hist** ,Ibrahim Abbas Publications of the National Institute for , **Living Reality** .Communication and Publicity, 2002, p. 65
21. **The Current of Consciousness in the** ,Mahmoud Ghanayem Jil, Beirut, Dar -Dar Al , **ylistic StudyModern Arabic Novel / A St** .Huda, Cairo, 2nd edition, 1993, p. 140-Al
22. translated by: Youssef , **The Word in the Novel** , Michael Bakhtin Syria, -Hallaq, Publications of the Ministry of Culture, Damascus .p. 110 ,1988
23. **Philosophical - ousnessHistory of Consci ,** Monis Bou Khadra , **Approaches to the Dialectic of Raising Awareness of Reality** Mohammed Bin Rashid Al Maktoum Foundation, Arab House of Ikhtif Publications, -Lebanon, Al -Science Publishers, Beirut .Algeria, 1st Edition, 2013, p.17
24. **reness of the novelist world / the awa ,** Muhammad Azzam Publications of the Arab Writers , **studies in the Moroccan novel** .Union, 1990, p. 196
25. **Sowerti, Structural Criticism and the Narrative Text** Muhammad .East Africa House, 2nd edition, 1990, p. 70 ,
26. Treasures of , **at Karl Marx of Alienation** Naima, The Wall Wisdom Foundation for Publishing and Distribution, Algeria, 1st .edition, 2013, p. 47

27. **The Novel and Ideology in Contemporary Arabic ,** Saeed Alloush Lebanon, 2nd Edition, 2009, -Manhal, Beirut -Dar Al , **Literature** .p. 107

The Problematic Personality and its Levels of Consciousness in the World of 'Mazes' by Burhan Shawy, the Novelist "A structural study"

Noora Warei Ezzulddin *

Shadan Jamel Abbas **

Abstract

Since structural formation criticism attempts to cause the character personality to speak and penetrate to those complicated areas in which the psychological inner world of the novel characters contradict it is closer the shaping characters consciousness inside the content of the text of the musing which illustrates human experiment and it reflects the novelist views towards its reality that illustrates the social ideological and conscious points of view.

the novelist focuses on the nature of the characters and hoes they perceive the fact and ideological and psychological effects that lead one to act as something abstract between mind and emotion and being self-banished and its relation with others through the inner world linked with himself and the external world linked with the social reality.

Thus, this study will not tackle the novel character concept and its types, functions since it has been dealt with before; we focus, here, on pointing out the psychological cases of shaping characters that suffer from being banished and regarded as an abstract entity between his dreams and principles and also its social reality as the other hand, regarding its conscious neo levels.

Key words: Banished, conscious neo, being abstract entity**.**

* **Asst.Lect/ Department of Arabic Language/ College of Education Shaqlawa/ Salahaddin University.**

** **Asst.Prof / Department of Arabic Language/ College of Education Shaqlawa/ Salahaddin University.**